قبس من الحديث الشريف

(٢)

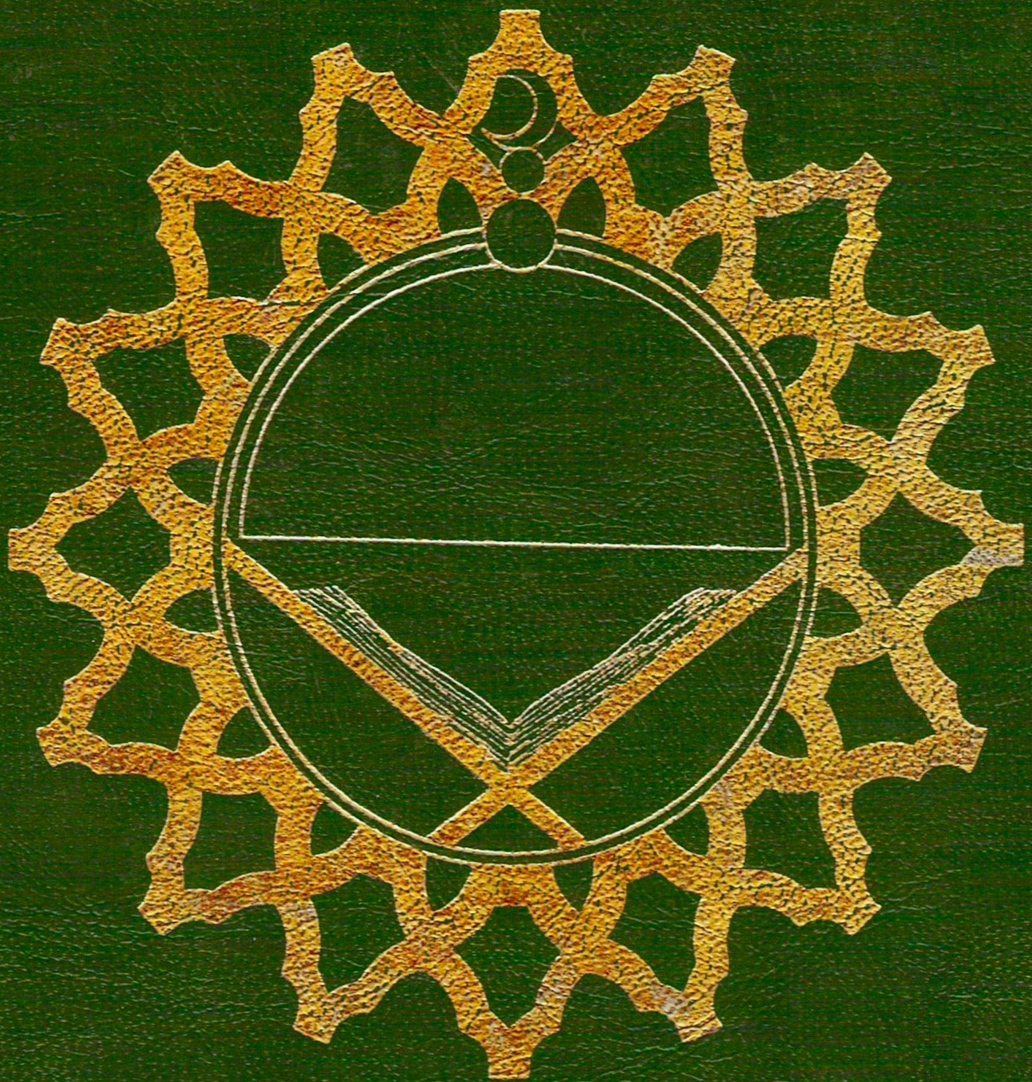

الطبعة الأولى : ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م

قبس من الحديث الشريف

(٢)

تأليف

الدكتور سالم بن محمد الرواحي الشيخ محمد بن راشد الغاربي
الشيخ مهني بن عمر التيواجني الشيخ ناصر بن سليمان السّابعي

الطبعة الأولى : ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، نعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيآت أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، والصلاة والسلام على سيدنا رسول لله الذي أوتي جوامع الكلم ، وعلى آله ، وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد :

فنقدم للقارىء الكريم الحلقة الثانية من سلسلة «قبس من الحديث الشريف» وقد انتقينا فيها باقة من أحاديث رسول الله ﷺ في العقيدة وأسرار العبادات والأخلاق وشؤون المجتمع .. وقد اخترنا لكل حديث عنواناً ينبىء عن موضوعه ، ويكشف عن بعض أفكاره ، ثم حاولنا ما استطعنا أن نشرح من الألفاظ ما رأيناه صعباً ، وأن نحلل نص الحديث بما يتناسب مع مستوى القارىء المتوسط الثقافة والفكر ، وأن نستخلص له أهم الدروس والعبر ، ليسترشد بها ، ويسير على ضوئها نحو المساهمة في إقامة المجتمع الإسلامي السليم ، من خلال تكوين الفرد المسلم المدرك لوظيفته ، والمقدر لمسؤوليته العقدية والحضارية .. مسؤولية الخلافة في الأرض .

والأحاديث التي قمنا بشرحها ودراستها ، انتخبناها كلها من الجامع الصحيح : مسند الإمام الربيع بن حبيب ـــ رحمه الله ـــ الذي أجمع أسلافنا على صحته في حديث رسول الله (ﷺ) ؛ وإتماما للفائدة أشرنا إلى ورود الحديث عند غيره من أصحاب الصحاح والسنن .

وختاماً ، فإننا نسأل الله سبحانه أن يجعل عملنا هذا خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع به أجيالنا المسلمة في دنياهم وأخراهم ، ونسأله التوفيق لما فيه خير الإسلام والمسلمين . إنه سميع مجيب الدعاء .

المؤلفـون

درجـات الإيمـان

أبوعبيدة عن جابر بن زيد قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «الإيمان مائة جزء ، أعظمها قول لا إله إلا الله . وأدناها : إماطة الأذى عن الطريق» .

الحديث أخرجه الإمام الربيع بن حبيب ـ رحمه الله ـ برقم [٧٧٣] وأخرجه أيضاً مسلم والترمذي وابن ماجه وأحمد بن حنبل وابن أبي شيبه ، مع اختلاف في بعض الألفاظ .

★ **المعنى اللغـوي :**

ـ **الإيمـان** : مصدر آمن ، وهو التصديق والطمأنينة .

وهو في اصطلاح المتكلمين إظهار الخضوع والقبول للشريعة ولما أتى به نبي الله محمد ـ ﷺ ـ واعتقاده بالقلب وإقراره باللسان وتطبيقه بالجوارح .

ـ **مـائة جـزء** : الجزء بمعنى البعض والجمع أجزاء .

ـ **لا إله إلا الله** : (لا) حرف تبرئة ناف للجنس ، يفيد نفي الخبر عن الجنس الواقع بعدها نفيا عاما .

(إله) اسم يطلق على كل معبود بحق أو باطل ، ثم غلب على المعبود بحق ؛ كما أن النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا ، والبيت على الكعبة .

(الله) اسم مختص بالمعبود بحق ، ولا يطلق على غيره .

لا إله إلا الله (مجتمعة) : نفي لألوهية غير الله تعالى ، فكل ما يعبد من دونه باطل ، فالعبارة نافيه لكل مظاهر الشرك مهما كانت ، ومثبته لأسمى معاني التوحيد .

ـ **أعظم** : صيغة تفضيل من عظم الشيء .

ـ **أدنى** : صيغة تفضيل من الدنو . وأدناها : أقلها .

ـ **إماطة** : إزالة .

ـ **الطريق** : السبيل ، تذكر وتؤنث ، والطريق ما بين السكتين من النخيل سميت طريقاً لأنها تطرقها وتسلكها السابلة وتمر بها .

التحليل :

تعرض النبي ـ ﷺ ـ في هذا الحديث لموضوع الإيمان ، وبين حقيقته الشرعية من خلال مسألتين جوهريتين هما :

(أ) الإيمان : قول وعمل .

(ب) الإيمان : مراتب متفاوته في الأهمية .

أولا ـ الإيمان قول وعمل :

بين النبي ـ ﷺ ـ في هذا الحديث حقيقة الإيمان الشرعية ، وأزال كل لَبْس قد يلحق بفهمنا لها ينشأ عن المعنى اللغوي المفيد (لمجرد التصديق) ؛ لأن اللفظ إذا دار بين المعنيين

اللغوي والشرعي ، قدم المعنى الشرعي ، فالرسول الكريم إنما جاء مبيناً للمعاني الشرعية لا اللغوية . كما أن تفسير النبي الكريم للإيمان لا يترك مجالا يحمل فيه على معناه المجازي .

فالإيمان في الشرع قول وعمل ؛ فكر وتطبيق ، فكلا العنصرين يمثلان جانبي هذه الحقيقة وماهيتها ، وبانعدام واحد منهما تنعدم الحقيقة والماهية ، إذ لا قيمة لاعتقاد لا يتبعه سلوك يطابقه ، ولا معنى لكلام تناقضه تصرفات صاحبه . إن مجرد التصديق لا يكفي وليس بإيمان شرعي ، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ (آل عمران ــ ١٩)

أي الإيمان . ويؤكد هذا التفسير قوله عز وجل :

﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ (الذاريات)

وقال أيضا : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ (البقرة ١٤٣)

أي صلاتكم عند أغلب المفسرين . وفي السنه جاء عن النبي الكريم من طريق علي بن أبي طالب عند ابن ماجه : (الإيمان معرفة بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان) وجاء أيضا : (الإيمان بالله إقرار باللسان وتصديق بالقلب وعمل بالأركان) . وجاء أن وفد عبد قيس لما قدموا على رسول الله ــ ﷺ ــ أمرهم بالإيمان بالله ، قال : (أتدرون ما الإيمان بالله ؟ قالوا :

الله ورسوله أعلم ! قال : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وأن تعطوا الخمس من الغنائم) وقال عليه السلام : (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به) .

إن الإيمان والإسلام في الفهم الشرعي مترادفان ومتلازمان لا فرق بينهما . أخرج البخاري ومسلم عن أنس ــ رضي الله عنه ــ أنه قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه) وعن أنس أيضا عند البخاري ومسلم وغيرهما : (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبّه إلا لله وأن يكره أن يعود إلى الكفر كما يكره أن يقذف في النار) وفي الصحيح عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) .

ومن هنا فلا يُقبل إسلام خلا من اليقين كما لا يقبل إيمان تجرد عن الخضوع لله . فالإيمان المعتبر هو الاعتقاد المقترن بالسمع والطاعة ، والتطهر من الجحود والاستكبار عن أمر الله تعالى فقد أنكر الله عز وجل على الذين يفرقون بين القول والعمل ، فقال : ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ

﴿ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (سورة النور)

هذا هو الفهم الشرعي السليم لمصطلح الإيمان ؛ والذي يجب أن تحمل عليه كل آية أشارت إليه .

إن الأمة الإسلامية لم تشق إلا يوم غاب عنها الفهم الصحيح للإيمان ، ومن هنا تجد علماء السلف الصالح يقولون إن الإيمان ليس محصوراً في الاعتقاد وإنما يصدق عليه ما يقتضيه من صادق القول وصالح العمل ، فعن البخاري بإسناد صحيح إليه قال : (لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل) . وقد حكى غير واحد من المفسرين الإجماع على أن الإيمان قول وعمل وهو الذي يترتب عليه الفوز بنَعيم الآخرة والنجاة من عقابها .

ثانيا : تفاوت مراتب الإيمان وأجزاؤه :

إن المسألة الثانية التي تعرض لها الحديث مبنية على ما تقرر من أن الإيمان قول وعمل ومن هنا فهو مراتب وأجزاء وشعب وأبواب ذكر الحديث أن هذه المراتب مائه ، وفي بعض الروايات سبعون ، وفي أخرى بضع وسبعون ، وفي أخرى أيضا أربعة وستون والمقصود من هذه الروايات جميعا على أفضل التفاسير ليس مجرد الحصر وإنما التكثير . من باب قوله تعالى : ﴿ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ (التوبة ٨٠) إذ ليس

لأجزاء الإيمان وشعبه حد ، كم أنه ليس لأعمال الإنسان الصالحة حد أيضا . فالنبي ــ ﷺ ــ جعل الحياء من الإيمان وجعله أدناها كما ورد في بعض روايات هذا الحديث ، ثم فسر الحياء في موضع آخر بقوله عليه الصلاة والسلام : (استحيوا من الله حق الحياء . قالوا : إنا لنستحيي يا رسول الله ! قال : ليس ذلك ! بل الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى ، والبطن وما حوى ، وتذكر الموت والبلى ، ومن أراد الآخرة ترك الدنيا وآثر الآخرة على الأولى ، فمن فعل ذلك .فقد استحيى من الله حق الحياء) .

إن عدم إمكانية حصر هذه الشعب لا يمنع من تحديد المحاور الكبرى للإيمان الذي تتفرع أجزاؤه إلى :

١ ــ أعمال القلب .

٢ ــ أعمال اللسان .

٣ ــ أعمال الجوارح .

١ ــ أعمال القلب :

وتتعلق بجانبين هما الاعتقاد والخلق :

أ ــ يمثل الاعتقاد أعلى مراتب الإيمان وأعظمها وأرفعها ، فإذا تحققت في النفس تولدت عنها بالضرورة بقية المراتب . فالعقيدة الإسلامية تنقسم إلى عدة أقسام مترابطة لا يغني الواحد منها عن الآخر ، وقد جعل النبي

ـــ ﷺ ـــ أعلاها : التوحيد فقال : (أعظمها قول : لا إله إلا الله) أي لا يؤمن المرء حتى يعتقد اعتقاداً جازما بوجود الله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، وكل ما عداه خَلْق له خاضعون لإرادته اختياراً أو اضطراراً .

وتعني (لا إله إلا الله) أنه وحده المستحق بالعبادة والطاعة والخوف والرجاء والدعاء والتوكل والمحبّة والحاكمية . وقد اقتصر النبي ـــ ﷺ ـــ في شأن التوحيد على (لا إله إلا الله) من قبيل ذكر البعض وإرادة الكل وإلا فإن التوحيد لا يتحقق إلا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن ما جاء به حق وهو ما يعرف في الاصطلاح (بالجملة) . ومن ثم وجب التصديق بالرسالات السماوية وأصحابها وكتبهم ، وأن القرآن كلام الله وخاتم كتبه المنزلة ، وأن نؤمن بالغيب كله فنصدق جزما بالملائكة والجن والبعث والجزاء والقدر خيره وشره . هذا تمام الاعتقاد الذي أشار إليه عليه السلام في هذا الحديث بأعلاها مرتبة وأحاديثه عليه الصلاة والسلام يفسر بعضها بعضا .

فإذا استقر هذا الاعتقاد في نفس المرء ، واقتنع عقله ، واطمأن قلبه ، شعر بالخضوع لله تعالى وتخلص من حبائل الشيطان ، وتحررت نفسه من سيطرة الغير ، لأن

الله هو المحيي المميت ، الخافض الرافع ، الضار النافع ، المعطي المانع ، يعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، ومن هنا تنبعث في النفس روح الشجاعة والإقدام والبذل والعطاء ، ويجعل المؤمن حياته كلها لله عز وجل .

ب ــ الخُلق : وهو الجانب الثاني من أعمال القلب ، فالمؤمن هو الذي يوطن نفسه على الخُلق الرفيع الذي كان عليه النبي ــ ﷺ ــ فقد وصفه الله عز وجل بقوله : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ ، (سورة القلم ٤) فالخلق الإسلامي من الإيمان .

فعن سالم بن عبد الله عن أبيه عند مسلم وابن ماجه قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (الحياء من الإيمان) وقال : (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا) .

ومن الإيمان الصبر على الضراء والشكر على النعماء ، قال ــ ﷺ ــ : (عجبا لأمر المؤمن كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له) .

٢ ــ أعمال اللسان :

اللسان ترجمان الجنان يعبر عما فيه ، فبه يتلفظ بالشهادتين وتوابعهما حتى يتميز المسلم عن غيره ، وبه

يتلى القرآن تعبداً ، وبه يذكر الله ويستغفر ، وبه يشكر على نعمائه قال عليه السلام : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً أو ليصمت ولا يؤذ جاره أبداً) وسئل عن أي المسلمين أفضل ؟ فقال عليه السلام : (من سلم المسلمون من لسانه ويده) .

٣ ــ أعمال الجوارح :

تشارك جوارح الإنسان في التعبير عن الإيمان والارتباط بالله تعالى من خلال الخضوع لجلاله حين يؤدي هذا الإنسان عباداته بإخلاص ، فالطهارات والصلاة والحج والعمرة وأعمالهما والاعتكاف وأداء الكفارات ونحو ذلك أشكال للإيمان إذا كانت صادرة عن قناعة وتصديق بأنها حق الله تعالى على الإنسان .

ومن شعب الإيمان العملية النكاح تعففا ، والقيام بحقوق العيال ، وبر الوالدين ونحو ذلك ، ومن ذلك أيضا ما يتعلق بالشؤون العامة كرعاية مصالح الأمة مع العدل في ذلك ، والتمسك بالجماعة وطاعة أولي الأمر العادلين ، والإصلاح بين الناس والمعاونة على البر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومجاهدة النفس ، والجهاد في سبيل الله لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى .

إماطة الأذى أدنى الإيمان :

بينا في ما مضى صوراً وأشكالاً للإيمان تتفاوت أهميتها في حياة الفرد والجماعة . والنبي ـــ ﷺ ـــ ضبط حدَّيْ الإيمان : الأعلى والأدنى . وجعل إماطة الأذى كناية عن الفعل البسيط الذي يكون في متناول الناس جميعا للقيام به مادام نافعا وفيه الخير للآخرين . فكل عمل مهما كان صغيراً في نظرنا إذا أريد به وجه الله تعالى ، يثاب عليه الإنسان ويكون في ميزان حسناته ثقيلا قال عز وجل :

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (سورة الكهف ٣٠) .

وفي حديث طويل قال فيه ـــ ﷺ ـــ : (.. وإماطتك الحجر والشوكة والعظم عن الطريق صدقة) .

★ ما يستفاد من الحديث الشريف :

١ ـــ الإيمان مصطلح شرعي حقيقته التصديق والإقرار والعمل .

٢ ـــ ادعاء اليقين بالله والمعرفة من غير عمل ليس من الإيمان في شيء .

٣ ـــ رفض الخضوع لله خروج على الإسلام ومروق عن الدين .

٤ ـــ لا وجود لإيمان بلا إسلام ولا إسلام بلا إيمان .

٥ ــ الإيمان متفاوت الدرجات : أعلاها التوحيد وأدناها أبسط الأعمال .

٦ ــ كل عمل أوتي به لوجه الله تعالى وحده وبإخلاص فهو من الإيمان .

٧ ــ الحياة الإسلامية هي تلك التي تصاغ على أساس أن الإيمان قول وعمل .

حقيقة الإيمان

قال الربيع بلغني عن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (إنك لن تجد ولن تؤمن وتبلغ حقيقة الإيمان حتى تؤمن بالقدر خيره وشره أنه من الله .

قال : قلت يارسول الله كيف لي أن أعلم خير القدر وشره ؟!

قال : (تعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك فإن مت على غير ذلك دخلت النار) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع بن حبيب برقم [٧٢] وأخرجه الترمذي وأبو داود وأحمد والبزار والطبراني وابن ماجه وقال : إسناده حسن .

وروايات الجميع متقاربة في المعنى رغم اختلافها في الألفاظ والطول والقصر .

المعنى اللغوي :

لن تجد : لن تدرك ، ولن تنتهي إلى شيء .

لن تؤمن : لن تصدق وتعتقد وتعترف وتتيقن .

تبلغ : تصل الكفاية والغاية من الشيء ومنتهاه .

حقيقة الإيمان : خالص الإيمان ومحضه وكنهه الذي يكون معه اليقين .

بالقدر : علم الله تعالى بالأزل بما تكون عليه المخلوقات في المستقبل .

أخطأ : تخلف وقوعه ولم يحدث .

أصابك : وقع وحدث له .

التحليـــل :

يثير النبي ﷺ في هذا الحديث مسألة القضاء والقدر وهي واحدة من أعسر قضايا العقيدة عرضها القرآن الكريم في آيات كثيرة حار في فهمها كثير من العلماء ، وقد وردت عدة أحاديث نبوية تنهى عن التعمق في بحث القدر وتحذر من الخوض فيه مخافة الانحراف ولأنه سر من أسرار الله تعالى فقال عليه الصلاة والسلام (إذا ذكر القدر فأمسكوا) .

إن وجوب الإيمان بالقدر مما علم من عقيدة الإسلام بالضرورة فلا يصح ولا ينفع إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر حتى يؤمن المرء أن القدر خيره وشره من عند الله تعالى .

فالإيمان الخالص هو الذي يكون ثمرة يقين بأن ما أصاب الإنسان من خير أو شر ما كان ليخطئه ، وما أخطأه لم يكن ليصيبه .

لقد أكد النبي ﷺ نفي الوصول إلى حقيقة العقيدة الإسلامية وجوهرها بتكرار (لن) المفيدة للنفي والتأبيد

واستعمل الكلمات الثلاث ــ تجد ــ تؤمن ــ تبلغ ــ وهن ذات معنى واحد ، مشترك هو عدم الاقتراب من الإيمان فضلا عن إدراكه والوصول إلى جوهره ، جاء في رواية أبي داود : (لو أنفقت مثل أُحد ذهباً في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر) .

إن الإيمان المقصود في الحديث هو الذي يكون اليقين في قدر الله جزء من حقيقته لا يداخل صاحبه أدنى ريب فيه ، وإلا كان وجوده كعدمه ، فهذا هو الإيمان النافع والمؤثر شرعا .

إن عقيدة القدر تعني علم الله في الأزل بكل ما أراد إيجاده من الأشياء والخلائق وتسييره لها وإيجادها على مقاديرها المحدودة في أزمنتها وأمكنتها وأحوالها وأسبابها ، والحديث قد أشار إلى بعض هذا المعنى وقصره على أن ما يصيب الإنسان من خير أو شر أو ما يتخلف عنه من ذلك في الحياة الدنيا هو من عند الله وحده .

إن كل شيء في الدنيا وما يجرى فيها إنما وقع بمشيئة الله وإرادته تنفذ في الناس طوعاً وكرهاً فالمرض يصيب الإنسان من غير اختيار منه وكذلك لونه وجنسه فقد يولد ذميم الخلقة قصيرها أو جميل الطلعة ، حسن الخلقه من غير أن يستشار في ذلك .

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ (آل عمران ــ ٦)
و ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ (الحديد ــ ٢٢) .

وقد وضح الحديث أنّ القدر قسمان : قدر خير ، وقدر شر .

أ ــ قدر الخير :

إن الهداية والصحة والسلامة من العيوب وتيسير أبواب الرزق والمرأة الصالحة وغيرها من نعم الله تعالى التي تيسر علينا الحياة ويطيب معها العيش هي في حقيقة الأمر من تقدير الحكيم العزيز . ومن الخطأ والاعتقاد أنها من جهد الإنسان وحده إذ كم هم الناس أصحاب القوة البدنية والذهنية لا يكسبون بعض ما يملكه غيرهم ممن حرموا ذلك الجهد وتلك القوة .

ومن خير القدر أيضا أن يولد في عائلة موسرة يسودها الوئام والمحبة المتبادلة بين أفرادها ، ومنه أن يعثر المزارع في أرض أجهدته خدمتها عن كنز يغير مجرى حياته ، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى .

ب ــ قدر الشر :

إن الضلال والأمراض التي تفتك بنا وحوادث الطرقات والطائرات التي يهلك فيها كثير من الناس أو يصابون بعاهات

بدنية تفقدهم لذة الحياة . وميلاد الفرد في وضع مادي مترد وبؤس شديد أو بيئة اجتماعية تفتقد السعادة والهناء كل هذه الصور لا دخل للفرد فيها وإنما هي من تقدير المولى عز وجل العادل بقضائه وقدره العارف بما يصلح الناس .

وقد أبرز الحديث أن معنى القدر استشكل على الصحابي حين أمره رسول الله أن يؤمن به فسأله عن حقيقة ذلك ، فقال : يارسول الله كيف لي أن أعلم خير القدر وشره ؟ فكان جواب رسول الله ـــ ﷺ ـــ أن قال : إن حقيقة الإيمان بالقدر أن تتيقن وأن لا يراودك شك أن ما فاتك من خير وفضل من الله لا يمكن لك أن تحصل عليه ولو استعملت من الحيل ما استطعت واستعنت على ذلك بالإنس والجن أجمعين ، وأن ما جاءك من خير لا يقدر أحد أن يمنعه عنك مهما فعل .

ثمرة الإيمان بالقدر :

إن الاعتقاد بأن كل ما يأتي من نعم للإنسان وما ينزل به من مصائب أمر أراده الله وقضاه وحدده بتقديره ونفذه بقدرته وأن ما أصابنا من خير أو شر وما أخطأنا من ذلك هو قدر من الله تعالى نافذ محتوم لا يتأخر لحظة عن ميعاده ومحله فإذا ترسخ هذا المعنى في عقل المرء وقلبه تولدت فيه قوة باعثة على العمل الصالح لنيل مرضاة الله تعالى في الدنيا والآخرة وسكنت نفسه واطمأن قلبه فإذا أصابته مصيبة صبر وإذا مسه الخير

شكر فالله تعالى يقول :

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ﴾ (الحديد ــ ٢٣) .

ومن الإيمان بالقدر الاعتقاد بأن الله قد تكفَّل بالرزق وحده فلا يطلب من غيره . قال الله تعالى :

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ (الإسراء ٣٠) إذ بيده خزائن كل شيء :﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ (المنافقون ٧) فلا خوف على لقمة العيش ولا خوف من الإنفاق ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ (سبأ ٣٩) .

ومن عقيدة القدر الإيمان بأن الأجل محدود لا يقدم ولا يؤخر فالله تعالى لا تبدو له البدوات

﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (النحل ٦١)

فَلِمَ الخوف من الموت ؟ وكيف يستولي الجزع على إنسان تغلغل في قلبه معنى قوله تعالى :

﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة ٥١)

وقوله تعالى :

﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾ ؟ (النساء ٧٨).

حقيقة الاستسلام للقدر :

هل يعني رسول الله ـ ﷺ ـ بحديثه هذا أن من عقيدة الإسلام أن يستسلم المرء لكل شر أصابه ويقف مكتوف الأيدي لا حول له ولا طول أمام المرض والفقر والحكم الظالم المستبد متعللا في ذلك بأن قضاء الله وقدره لا يردان وأنه من الدين القبول بكل وضع نحن فيه حتى يفرج الله لأن ما أصابنا من عنده وبمشيئته ؟ .

إن النبي ـ ﷺ ـ لم يقصد أبدا غرس عقيدة الجبر والإكراه عند الإنسان ، فقد خلقه ربه حرا ومنحه إرادة يملك توجيهها ضمن ما أعطاه الله من استطاعة ، لذا كان مكلفا ومحاسبا على ما يكسبه من خير وشر .

إن المسلم الحق هو الذي يتوكل على الله ولا يتواكل فإذا أصابه مرض صبر عليه لأنه قدر الله وعليه في نفس الوقت أن يبحث لنفسه عن علاج وأن يعاود الطبيب ، وإذا أصيب بالفقر قنع بما أتاه الله ورضي به ووجب أيضا أن يسعى لكسب الرزق بكل طريق مباح . فكم من فقير أغناه الله ، وكم من غني عرف الفقر بعد الثروة . فالإنسان يفر من قضاء الله وقدره إلى قضاء الله وقدره كما قال سيدنا عمر ، رضي الله عنه ، ولا يعني ذلك أبدا أن الإنسان يعارض قدر الله وإنما يتوكل عليه ويأخذ بالأسباب ويستعين بالله ويحسن الظن به تعالى لأن من توكل على الله فهو حسبه . قال الله تعالى :

﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (المائدة ٢٣) .

ينهي رسول الله ـــ ﷺ ـــ حديثه بالتحذير من أن من مات منكرا لما قدره الله تعالى كان من أهل النار لأنه منكر لصفتي الإرادة والقدرة اللتين يتصف بهما الله تعالى وهو قيوم السموات والأرض يفعل فيهما ما ينشاء . وقد عبر ـــ ﷺ ـــ عن هذا المصير بقوله (فإن مت على غير ذلك دخلت النار) .

ما يستفاد من الحديث :

١ ـــ الإيمان بالقدر ركن من أركان العقيدة الإسلامية .

٢ ـــ عقيدة القدر تغرس في الإنسان جملة من الخصال الرفيعة التي تسهم في عمارة الكون بما ينفع في الدنيا والآخرة .

٣ ـــ القدر من أصعب مسائل العقيدة التي حار العقل فيها .

٤ ـــ المؤمن الحق إذا أصابه شر صبر وإذا أصابه خير شكر .

ما تحل به عُقَدُ الشيطان

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ (يعقد الشيطان على قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقدات يضرب مكان كل عقدة عليك ليلا طويلا فارقد فإذا استيقظ وذكر الله انحلت عقدة فإذا توضأ انحلت عقدة فإذا صلى انحلت عقدة فيصبح نشيطا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع رحمه الله تعالى برقم [١٣٠] وأخرجه أيضا البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه ومالك وأحمد .

المعنى اللغوي :

يعقد : مضارع عَقَدَ أي ربط بإحكام والعقد يستعمل في المعاني كعقدت العهد وفي المحسوسات كعقدت الحبل .

الشيطان : هو إبليس اللعين فهما اسمان لمسمى واحد وهو هذا الكائن الغيبي من عالم الجن الذي اختار أن يكون عدوا لله وللإنسان .

والشيطان مشتق من شطن إذا بعد على رأي من جعل النون

أصلا وقيل مشتق من شاط يشيط إذا هلك واحترق والأول أكثر ويطلق الشيطان على كل عات متمرد من الجن والإنس والدواب .

قافية أحدكم : القافية هي مؤخرة العنق ، وقافية الشيء آخره والمعنى أن الشيطان يؤثر على النائم بطريقته الخاصة فيحبـبُ إليه الرقاد .

يضـرب : كناية على أن الشيطان يؤثر على النائم فيحجب عنه الحس حتى لا يستيقظ . ونظير ذلك قوله تعالى : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (الكهف ١١)

عليك ليلا طويلا : وفي نسخة (عليك ليل طويل) بالرفع وذكر ابن حجر وغيره أن فيه روايتين الرفع والنصب ، فمن رفع فعلى الابتدأ أي باق عليك .. أو باضمار فعل أي بقي عليك ، ومن نصب فعلى الإغراء كقولك عليك زيداً .

التحليـل :

عرض النبي ـــ ﷺ ـــ في هذا الحديث العلاقة القديمة المتجددة بين الإنسان والشيطان القائمة على أساس العداوة بينهما . فقد أقسم إبليس أن يحارب الإنسان وأن يدفع به إلى

طريق الضلال فقد قال : مخاطباً ربّه :

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ (ص)

وقد تكرر هذا القسم وهذا العزم مرارا في القرآن تأكيدا لذلك الموقف العدائي . وبين تنوع طرق الغواية عنده فقال تعالى على لسانه :

﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾

(الأعراف)

ومن جملة طرق الغواية والإضلال عند إبليس الصد عن ذكر الله وعن الصلاة وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا المعنى في قوله تعالى :

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (المائدة) .

ومن خلال الحديث الذي بين أيدينا يفسر النبي ـــ ﷺ ـــ هذا الصدّ ، فالشيطان اختار النوم ليدخل منه إلى قلب الإنسان ، فحبب إليه لذته وزين له الراحة والأحلام الجميلة ودفء الفراش الوثير حتى يشعر النائم بصعوبة القيام لصلاته . وقد عبر النبي عليه السلام عن هذا الشعور بالثقل والكسل ، وذلك أن يعقد الشيطان على قفا الرجل ثلاث

عقدات كناية على إحكامه السيطرة على هذا النائم .

والمقصود أن إبليس يؤثر تأثيراً نفسيًّا كما يفعل السحرة وأهل التنويم فيخيل للإنسان بمتعة يصعب عليه تركها فيسترسل معها حتى يفوت وقت الصلاة .

أراد الشيطان أن يحارب الإنسان وأن يدخل إليه من أعلى العبادات درجة : ألا وهي الصلاة التي تمثل أفضل صور الطاعة لله عز وجل والصلة بين الإنسان وربه فهي عماد الدين كله ، ولأهميتها وعظمتها جعلها الله أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة فإذا صلحت صلح سائر العمل وإذا فسدت فسد سائر العمل .

ومن فضل الله علينا أن أرشدنا النبي ـــ ﷺ ـــ إلى سبيل التخلص من الشيطان والانتصار عليه وعرض علينا نوع السلاح الذي يمكننا من ذلك ألا وهو ذكر الله والإسراع إلى الوضوء ثم الصلاة .

١ ـــ الذكر عند الاستيقاظ من النوم :

إذا أفاق المرء من نومه فليقم حتى لايعاوده فيذكر الله كثيراً ، بأن يستحضر ويستشعر عظمة الله تعالى ويتذكر حقه عليه من الطاعة والعبادة وعلى رأسها الصلاة .

إن ذكر الله مما يذهب كيد الشيطان وتنحل به أحدى عقده وتصغر في عينيه لذة النوم .

ومن ذكر الله أن نحمده على نعمة النوم والراحة وعلى إرساله النفس التي لم تمت في منامها إلى أجل مسمى ، بعد أن أمسك التي قضى عليها الموت .

وفي السّنة أدعية كثيرة أثرت عن النبي ـــ ﷺ ـــ كان يقولها إذا أفاق من نومه كقوله : (أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين . اللهم إني أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهداه وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده ..).

٢ ـــ المبادرة بالوضوء :

إذا ذكر المسلم ربه ودعاه ليوفقه في يومه ذلك أسرع إلى الوضوء منتصراً على إصرار الشيطان بقوة إرادته ، وشعوره بعبوديته لله تعالى .

وإذا توضأ الإنسان وأحسن وضوءه وأسبغه انحلت عقدة ثانية ووهن كيد إبليس لأن المرء إذا فعل ذلك مخلصاً لوجه الله تعالى عبر بذلك عن صدق إيمانه وتدينه وكان جديراً أن يصدق عليه قول النبي ـــ ﷺ ـــ : (ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ ـــ أو فيسبغ ـــ الوضوء . ثم قال : أشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء) .

٣ ــ القيام للصلاة وأداؤها :

إذا توضأ الإنسان كما بينا رغما عن الشيطان ، ثم قام إلى صلاته فأداها بشروطها وأركانها مدركا لما يفعل راغباً فيما عند الله ولم يشرك فيها غيره تحقق له النصر والفوز والنجاح واندحر الشيطان وانتصرت الإرادة الخيرة .

وقد بشر النبي ــ ﷺ ــ كل من انتصر على الشيطان بذكر الله وإسباغ الوضوء ثم الصلاة ولم يستسلم لإغراءات إبليس بأن يصبح نشيطاً طيب النفس يشعر براحة الضمير واستقرار البال فهل في الحياة أفضل من أن يشعر المرء بأداء أقدس وأحب وأوكد حق ؟ وهل في الدنيا أسعد من لحظة يجد الإنسان فيها نفسه وقد أدى حق ربه وبدأ يومه على درب الإيمان والإسلام رجاء أن يبارك الله سعيه ؟ .

وفي المقابل حذر الرسول عليه السلام كل من استسلم للشيطان فأخر الصلاة عن وقتها وأهمل ذكر ربه أن يقوم خبيث النفس غير موصولة بخالقها زاهدة فيما عنده لا استعداد لها للكسب يمنعها الكسل من خير

ذلك اليوم ، وبئست نفسٌ هذه حالها ، وتعسا لصاحبها يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ كثرة طرق الشيطان لإغواء بني آدم .

٢ ــ رأفة النبي ورحمته بأمته حيث يدلهم على ما يمكنهم من إبطال كيد الشيطان .

٣ ــ الفرق بين حالة من يتخلص من كيد الشيطان وبين من يستسلم له .

٤ ــ أخذ بعض العلماء من هذا الحديث وجوب قيام الليل ولو بركعات قليلة .

مما يمحو الخطايا

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك عن النبي ـ ﷺ ـ قال : (ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط) قالها ثلاثا .

الحديث : أخرجه الإمام الربيع رحمه الله برقم [٩٨] وأخرجه أيضا مسلم والترمذي وقال حديث حسن صحيح والنسائي وابن ماجه والدارمي وأحمد ومالك في الموطأ .

المعنى اللغوي :

يمحو : محو الخطايا كناية عن غفرانها والعفو عنها .

الخطايا : جمع خطيئة والخطيئة الصغيرة من الذنوب لقوله تعالى : ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ (هود ـ ١١٤)

إذ المراد بالسيئات الصغائر بدليل قوله تعالى :

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ .

(النساء ٣١)

إسباغ الوضوء : الإسباغ الإتمام ومنه قولهم درع سابغ وإسباغ الوضوء إتمامه وإكماله واستيعاب أعضائه بالماء .

الرباط : بكسر الراء ملازمة الثغور والإقامة على جهاد العدو وربط الخيل وإعدادها للجهاد والمراد به هنا ما ذكر من

الأفعال الصالحة والعبادة لأنها حبس للنفس عن هواها وسد لطرق الشيطان ووساوسه وربط لها عن المعاصي .

التحليـــل :

أخبر الله سبحانه وتعالى عن نبيه ـــ ﷺ ـــ أنه حريص على إيصال الخير إلى أمته وأنه رؤوف رحيم بهم فقال عز وجل : ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة ـــ ١٢٨)

وإن من مظاهر شفقته ورحمته بأمته أن يبتديهم بالفوائد ويخبرهم بما يحط حوبهم وذنوبهم من الأعمال وبما يرفع درجاتهم ويعلي منازلهم عند ربهم سبحانه وتعالى .

وفي هذا الحديث يفتتح النبي ـــ ﷺ ـــ كلامه بسؤال يطرحه على صحابته الكرام استحضارا لأذهانهم وجمعا لهممهم لفهم ما يلقيه عليهم ـــ ﷺ ـــ ثم ذكر لهم ثلاثة أمور مما يغفر الله بها الخطايا ويرفع لهم بها الدرجات .

الأمر الأول : إسباغ الوضوء على المكاره وهو تعميم الأعضاء بالماء وغسل ما أوجب الله غسله منها ومسح ما أوجب مسحه فإن من مسح عضوا يجب عليه غسله فلا وضوء له ولا صلاة له .

فلا تمنعه شدة البرد ولا الكسل عند نهوضه من النوم من الإتيان بالوضوء كما شرعه الله عز وجل كما يفعله كثير من الناس

عندما يكون البرد شديدا أو عندما يستيقظون من نومهم فلا يفرقون بين ما يجب غسله وما يجب مسحه من الأعضاء ولا يهتمون بتعميم الماء على أعضاء الوضوء وهذا أمر من الخطورة بمكان ، فقد توعد النبي ـــ ﷺ ـــ من يتهاون بشأن الوضوء ويأتي به على غير وجهه المشروع وخاصة عدم تعميم الماء على الأعضاء التي لا يصلها غالبا الماء إلا عند التفقد . ففي الحديث الذي رواه الإمام الربيع وغيره عن ابن عباس عن النبي ـــ ﷺ ـــ قال : (ويل للعراقيب من النار وويل لبطون الأقدام من النار) ورواه البخاري مبيِّنًا السبب فعن عبد الله بن عمرو قال : (تخلف النبي ـــ ﷺ ـــ عنا في سفره فأدركنا وقد أرهقَنَا العصر فجعلنا نتوضأ ونمسح على أرجلنا فنادى بأعلى صوته ويل للأعقاب من النار) مرتين أو ثلاثا .

وأمر ـــ ﷺ ـــ بالتخليل بين الأصابع حتى يصل الماء إليها فعن ابن عباس عن النبي ـــ ﷺ ـــ قال : (خللوا بين أصابعكم في الوضوء قبل أن تخلل بمسامير من نار) .

وكما حذر ـــ ﷺ ـــ من الإخلال والتقصير في الوضوء فإنه رغب في إسباغه ويكفي أنه ـــ ﷺ ـــ جعله من ضمن ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات فقد ثبت عنه ـــ ﷺ ـــ أن العبد المسلم كلما غسل عضوا من أعضاء وضوئه أو مسح عليه إن كان مما يمسح خرجت منه الخطايا

مع آخر قطر الماء الذي ينزل منه ففي الحديث الذي رواه الإمام الربيع رحمه الله تعالى ومسلم والترمذي ومالك عن أبي هريرة قال : قال النبي ــ ﷺ ــ (إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه آخر قطر الماء فإذا غسل يديه خرجت منهما كل خطيئة بطشها بهما ثم كذلك حتى يخرج نقيا من الذنوب) .

ولعظم فضل الوضوء فإن آثاره تبدو على أصحابه يوم القيامة بل تكون ميزة لأتقياء هذه الأمة وعلامة لهم يعرفهم بها نبيهم ــ ﷺ ــ فإن الله تعالى اختص هذه الأمة الكريمة من بين ما اختصها به أن صلحاءها يأتون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء فعندما سأل الصحابة النبي ــ ﷺ ــ كيف تعرف من يأتي بعدك ــ أي من أمتك ــ أجابهم بأنهم يأتون غرا محجلين من أثر الوضوء ففي الحديث الذي رواه الامام الربيع رحمه الله ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي ــ ﷺ ــ خرج إلى المقبرة فقال : (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون وددت أني رأيت إخواني) قالوا يارسول الله ألسنا بإخوانك قال : (بل أنتم أصحابي وانما إخواني الذين يأتون من بعدي وأنا فرطُهم على الحوض) قالوا يارسول الله : كيف تعرف من يأتي بعدك ؟ قال : (أرأيتم لو كان لرجل خيل غر محجلة في خيل دهم بُهْمٍ

ألا يعرف خيله ؟) قالوا بلى يارسول الله قال : (فإنهم يأتون يوم القيامة غرا محجلين من أثر الوضوء وأنا فرطهم على الحوض وليُـذَادَنَّ رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فأناديهم ألا هلم ألا هلم) فيقال إنهم قد بدلوا بعدك فأقول : (فسحقا فسحقا) .

والغر بضم فسكون جمع أغر والغرة بياض في جبهة الفرس والتحجيل بياض في قوائم الفرس لا يجاوز الركبتين صاعدا ولا العرقوبين سافلا .

ووصف الغرة والتحجيل خاص بأهل السعادة من هذه الأمة دون غيرهم من الأشقياء وان توضؤوا .

الأمر الثاني : كثـرة الخطـا إلى المساجد :

ليس بغريب أن يكون المشي إلى بيوت الله عز وجل مما يغفر الله به ذنوب عباده ويرفع به منازلهم في الجنة فكما أن العبد يعاقب على الخطوات التي يخطوها إلى معاصي الله ، عز وجل ، فإنه يثاب على الخطوات التي يخطوها إلى طاعته سبحانه وتعالى . ومن أعظم الطاعات المشي إلى بيوت الله تعالى لتأدية عبادته والتقرب إليه بأنواع الطاعات بل إن العبد المسلم يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة ويمحي عنه بالأخرى سيئة . فعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ : (من توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج عامدا إلى الصلاة فإنه في صلاة ما

كان يعمد إلى الصلاة ، وأنه يكتب له بإحدى خطوتيه حسنة ويمحى عنه بالأخرى سيئة فإذا سمع أحدكم الإقامة فلا يسع فإن أعظمكم أجرا أبعدكم دارا) قالوا لم يا أبا هريرة ؟ قال : (من أجل كثرة الخطا) .

وعندما خلت البقاع حول مسجد النبي ـ ﷺ ـ همَّ بنو سلمة بالانتقال إليها ليكونوا قرب مسجد النبي ـ ﷺ ـ فبلغ ذلك رسول الله ، عليه السلام ، فأمرهم بلزوم ديارهم التي كانوا فيها لينالوا فضيلة كثرة الخطا إلى المسجد فقد روى مسلم وغيره من طريق جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : (خلت البقاع حول المسجد فأراد بنو سلمة أن ينتقلوا قرب المسجد فبلغ النبي ـ ﷺ ـ فقال لهم : بلغني أنكم تريدون أن تنتقلوا قرب المسجد ، فقالوا : نعم يارسول الله قد أردنا ذلك ، فقال : (يابني سلمة ديارَكم تكتب آثارَكم ديارَكم تكتب آثاركم) فقالوا (ما يسرنا أنا كنا تحولنا) .

المعنى الزموا دياركم فإنكم إذا لزمتموها كتبت آثاركم وخطاكم الكثيرة إلى المسجد ولقد حرص الصحابة على نيل هذا الفضل العظيم فكانوا يتجشمون الصعاب والمشاق فيمشون في الظلام الحالك وعلى الرمضاء الملتهبة إلى المساجد ويفضلون عدم ركوب الدواب إليها . فعن أبي ابن كعب رضي الله عنه قال كان رجل من الأنصار لا أعلم أحدا أبعد من المسجد منه

كانت لا تخطئه صلاة فقيل له لو اشتريت حمارا تركبه في الظلماء والرمضاء فقال ما يسرني أن منزلي إلى جنب المسجد إني أريد أن يكتب لي ممشاي إلى المسجد ورجوعي إذا رجعت إلى أهلي فقال رسول الله ـ ﷺ ـ (قد جمع الله لك ذلك كله) .

وإذا كان هذا شأن الصحابة الكرام مع ما يكتنفهم من مخاوف ومشاق فكيف بنا نحن وقد أنعم الله علينا بإضاءة الطرق وأمانها ؟ إلى غير ذلك من وسائل الراحة الكثيرة .

الأمر الثالث : انتظار الصلاة بعد الصلاة :

ملازمة بيوت الله عز وجل والمكث فيها من علامات الإيمان الراسخ في القلب الذي يحمل صاحبه على المسارعة إلى فعل الخيرات وترك المنكرات ويكفي من جلس في المسجد شرفا أن الملائكة تستغفر له ففي الحديث الصحيح عنه ـ ﷺ ـ أنه قال : (إن أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه والملائكة تقول : اللهم اغفر له اللهم ارحمه مالم يقم من مصلاه أو يحدث) .

فمجاهدة النفس بالجلوس في المسجد للعبادة وانتظار الصلاة فيه هو الرباط الذي يضاهي الرباط على ثغور المسلمين لنصر دين الله والذب عن حوزة المسلمين ، ومثله ما سبق من إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد فناهيك

شرفا لهذه الأعمال مضاهتها للجهاد في سبيل الله تعالى والرباط فيه فاحرص أخي المسلم على نيل هذه الفضائل واعلم أنه لا ينال هذا الأجر الجزيل إلا المسلم الموفي بدين الله تعالى ، وأما من يغدو ويروح في معاصي الله تعالى فليس له من ذلك نصيب .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ شفقة النبي ــ ﷺ ــ ورحمته بأمته .

٢ ــ عظم أجر جهاد النفس وتشبيهه بالرباط في سبيل الله .

٣ ــ الوضوء سبب لغفران الذنوب ، وعلامة لصاحبه يوم القيامة .

٤ ــ تعلق قلب المؤمن بالمساجد ، وكثرة تردده عليها دليل الإيمان الصادق .

٥ ــ ملازمة المساجد لا تعني الجلوس فيها مطلقاً ، وإهمال مصالح الدنيا .

فضل الوضوء

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة قال : قال النبي ـ ﷺ ـ : (إذا توضأ العبد المسلم فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينه آخر قطر الماء ، فإذا غسل يديه خرجت منهما كل خطيئة بطشتها بهما ثم كذلك حتى يخرج نقيًّا من الذنوب) .

الحديث أخرجه الامام الربيع بن حبيب ـ رحمه الله ـ برقم [٩٩] وأخرجه أيضا مسلم وأحمد بن حنبل وغيرهما بألفاظ متقاربة بزيادة وحذف .

المعنى اللغوي :

الخطيئة : الصغيرة . وخروج الخطيئة من الوجه واليدين وسائر الأعضاء كناية عن غفران الذنوب ، والمراد الذنوب الصغيرة لا الكبيرة .

التحليل :

ما أكثر ما يقع الإنسان في الخطايا ويتعدى المحظورات ، وما أسرع نسيانه لنعم الله تعالى عليه ، وما أقبحه وهو على معصية الله عز وجل . ولكن كم يجمل به ويحسن أن يرجع عن خطئه ويكفّر عن خطيئته ويقلع عن معصيته ، وذلك

بالمبادرة إلى التوبة الصادقة والعمل الصالح ، قال تعالى :
﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ (طه ٨٢)
وقال عليه الصلاة السلام : (كل ابن آدم خطّاء وخير الخطائين التوّابون) . وقد فتح الشرع الحنيف أبواباً واسعة لحط الخطايا ، ومنح الإنسان فرصاً شتى للاستغفار من الذنوب ، فاجتناب الكبائر مكفر لها ، وأداء الفرائض مكفر للذنوب ، وكل أعمال الخير تكفر الذنوب والسيئات ، قال عز وجل :
﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (هود ــ ١١٤)

وأهم من كل ذلك المحافظة على الصلوات المفترضة حيث ينادى بهن في بيوت الله المطهّرة . لذلك قال النبي ــ ﷺ ــ فيما رواه البخاري : (أرأيتم لو أن بباب أحدكم نهراً يغتسل منه خمس مرات في اليوم والليلة ، هل يبقى من درنه شيء ؟) قالوا لا يبقى من درنه شيء يارسول الله . قال : (فذلك مثل الصلوات الخمس ، يمحو الله بهن الخطايا) .

وفي ذلك جميل الإشارة وحسن اللفت إلى أهمية الصلاة ومكانتها في الإسلام ، وأن على المسلم أن لا يقبل على ربه ولا يدخل في الصلاة إلا أن يكون طاهر السريرة صافي القلب عن كل شاغل ، وكل نية سوء ، غير متلوث بالخطايا والمعاصي ، ذلك أن الصلاة عمود الدين ، كما روي عن النبي ــ ﷺ ــ ، وهي أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة ، فإن

صلحت صلح سائر عمله وإن فسدت فسد سائر عمله .

وفي الحديث الذي نحن بصدد شرحه بيان أن الوضوء الذي يسبق الصلاة مكفر للذنوب وماحق لها . وتلك من فضائل الوضوء وبركته على المصلي ، إلا إذا كان مصرًّاً على ذنبه فهذا لا يغفره إلا التوبة المتمثلة في الإقلاع عن الذنب ، والندم عليه ، والعزم على عدم العودة إليه ، وإرجاع الحقوق إلى أصحابها .

والمتأمل في الوضوء يرى أنه يشمل الأعضاء البارزة من الجسم والتي تكون عرضة لاكتساب الآثام واقتراف الذنوب ؛ ولذلك كان الوضوء غسلاً لها جميعاً ، سواء في ذلك الأعضاء المذكورة في هذا الحديث ، وهي الوجه ، ويشمل الوجه والعينين والأنف والفم ــ واليدان ، والأعضاء المشار إليها بقوله: (كذلك) وهي الرأس والأذن والرجلان ، وقد وردت روايات أخرى ذكرت كل أعضاء الوضوء أو أكثرها ، من ذلك حديث عمرو بن عنبسة ، قال : قلت : (يارسول الله ، حدثني عن الوضوء ، فقال : ما منكم من رجل يقرب وضوءه فيمضمض ويستنشق إلا خرجت خطاياه من فيه وخياشيمه مع الماء ، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله خرجت خطايا وجهه من أطراف لحيته مع الماء ، ثم إذا مسح رأسه خرجت خطاياه من أطراف شعره مع الماء ، ثم إذا غسل رجليه إلى الكعبين

خرجت خطايا قدميه من أنامله مع الماء ، فإذا قام وصلى وحمد الله وأثنى عليه ومجّده انصرف من خطيئته كيوم ولدته أمه) .

هذا ، ومما ورد في فضائل الوضوء ما رواه الربيع بن حبيب وغيره عن أنس بن مالك عن النبي ـــ ﷺ ـــ قال : (ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات : إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط) قالها ثلاثاً . وما رواه الإمام الربيع عن جابر بن زيد قال : بلغني عن عثمان بن عفان أنه جلس على المقاعد ، فجاء المؤذن فأذن لصلاة العصر ، فدعا بماء فتوضأ ثم قال : والله لأحدثنكم حديثاً لولا أنه في كتاب الله ما حدثتكموه ، ثم قال : سمعت رسول الله ـــ ﷺ ـــ يقول : (ما من امرئ يتوضأ فيحسن وضوءه لصلاته ثم يصليها إلا غفر الله له ما بينها وبين الصلاة الأخرى حتى يصليها) وروى الحديث أيضا البخاري ومسلم .

وفضائل الوضوء كثيرة ، وبحسبك أنَّ المتوضئين يأتون يوم القيامة غُرّاً مُحَجَّلين من أثر الوضوء .

ما يستفاد من الحديث :

١ ـــ الوضوء سبب لغفران الذنوب .

٢ ـــ لابد أن تكون التوبة ملازمة للمسلم .

٣ ـــ كبائر الذنوب لا يكفرها شيء غير التوبة .

٤ ـــ من أسرار تكرر الصلاة في اليوم الواحد وشرط الوضوء تذكير المسلم بذنوبه ، وتداركه نفسه قبل نسيان الذنوب .

٥ ـــ كل عضو في الإنسان معرّض للخطايا ، والعبادات تشمل تلك الأعضاء فتكفر ذنوبها .

الخشــوع في الصــلاة

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (لكل شيء عمود ، وعمود الدين الصلاة وعمود الصلاة الخشوع ، وخيركم عند الله أتقاكم) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع رحمه الله تعالى برقم [٢٨٥] وأخرجه أيضا الترمذي والبيهقي من حديث ابن عمر ورواه الديلمي من حديث علي .

المعنى اللغــوي :

العمـود : ما يقوم به البيت أو البنيان .

الخشوع : التضرع والتذلل .

التحليــل :

يشتمل هذا الحديث على أربع جمل لكل جملة معنى ذو دلالة بالغة في الأهمية وهي :

ــ **الأولى** : قوله (لكل شيء عمود) وهذه الجملة إنما سيقت لتقرير القضايا المذكورة فيما بعد وهي (عمود الدين الصلاة وعمود الصلاة الخشوع) فكما أن الأمور المحسوسة والمشاهدة كالبنيان والبيوت والمنازل تعتمد على ركائز وأعمدة تقوم عليها وتسندها ، ولا يمكن أن يقوم كيان هذه الأشياء

بدونها ، فكذلك الأمور المعنوية والعملية التي تتعلق بالدين وبالعقيدة فهي أيضاً لابد لها من أعمدة وركائز تقوم عليها كما ورد في الحديث (بني الإسلام على خمس) .

ـــ الثانية : قوله (وعمود الدين الصلاة) فهي العمود الثاني بعد الشهادتين وقد جاء هذه المعنى مؤكدا في أحاديث أخرى .

منها قوله : ـــ ﷺ ـــ لمعاذ بن جبل في الحديث الذي أخرجه الترمذي وابن ماجة وأحمد (رأس الأمة الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله) .

ومنها حديث ابن عمر عند الطبراني : (إنما موضع الصلاة من الدين كموضع الرأس من الجسد) .

ومنها حديث عائشة عند أحمد والطبراني وجاء فيه (أسهم الإسلام ثلاثة الصلاة والصوم والزكاة) .

ونظراً لهذه المكانة العالية للصلاة وهذا الاهتمام البالغ بها فقد كان لها وضع مميز في الإسلام .

فقد جاء أنها من أفضل الأعمال ففي الحديث الذي أخرجه البخاري وأحمد وغيرهما من طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : سألت رسول الله ـــ ﷺ ـــ أي عمل أحب إلى الله فقال : (الصلاة لوقتها قال : ثم أي قال : بر الوالدين قال : ثم أي قال : جهاد في سبيل الله) .

وجاء أن الصلاة أول ما يحاسب عليها العبد يوم القيامة فعن أبي هريرة رضي الله عنه وغيره عند الترمذي وأبي داود والنسائي وابن ماجه أن النبي ـ ﷺ ـ قال : (إن أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة) .

وجاء أن من تركها فقد كفر ففي حديث ابن عباس عند الإمام الربيع رحمه الله عن النبي ـ ﷺ ـ قال : (ليس بين العبد والكفر إلا تركه الصلاة) وعند مسلم من طريق جابر رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : (أن بين الرجل والشرك والكفر ترك الصلاة) .

وجاء أن النبي ـ ﷺ ـ كان في أخر لحظاته من الدنيا يوصي بالصلاة إذ جعل يقول : الصلاة ، الصلاةَ ، وما ملكت أيمانكم .

الثالثة : قوله : (وعمود الصلاة الخشوع) والخشوع هو السكون والاطمئنان وحضور القلب بحيث يجمع المصلي قلبه وهمه في صلاته متوجهاً بجميع حواسه إلى الله عز وجل .

ولا يخفى أن الحركة في الصلاة من أي جارحة من جوارح الإنسان في غير ما ضرورة تعتبر منافية للخشوع المطلوب في الصلاة .

فقد أمر ـ ﷺ ـ بالسكون وعدم الحركة في الصلاة فقال : (.. اسكنوا في الصلاة) .

وأمر ـــ ﷺ ـــ بالبدء بالعَشاء قبل الصلاة كما في حديث ابن عباس وغيره عند الإمام الربيع رحمه الله ومسلم إن النبي ـــ ﷺ ـــ قال : (إذا أقيمت الصلاة وحضر العَشاء فابدؤوا بالعَشاء قبل العِشاءِ لئلا تدعو أحدكم نفسه إلى الطعام فيشتغل عن الصلاة فيقصر منها) . وما ذلك إلا لأنه أدعى لسكون القلب وخشوع الجوارح واطمئنان النفس في هذه العبادة .

ولا شك أن الخشوع هو جوهر الصلاة وروحها وبه يحصل الإنسان على أعلى درجات الأجر كما في حديث : أبي الوليد عند مسلم وغيره أن رسول الله ـــ ﷺ ـــ قال : (ما من مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب مالم يأت كبيرة) .

وجاء أيضاً أن الإنسان لا يحصل في صلاته من الأجر إلا على ما عقل منها . ففي حديث عمار بن ياسر عند أبي داود والنسائي وابن حبان قال سمعت رسول الله ـــ ﷺ ـــ يقول : (إن الرجل ينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته ، تسعها ، ثمنها ، سدسها ، خمسها ، ربعها) .

وفي هذا دليل على أنه لا يكتب للمرء في صلاته إلا ما عقل . ولكون الخشوع جانبا مهما من جوانب الصلاة لابد من توفره ولا تصلح الصلاة بدونه . فقد جاء الحديث

الشريف يؤكد هذا المعنى . ففي حديث أبي هريرة . عند مسلم وغيره أن النبي ـ ﷺ ـ قال : (ان أحدكم إذا قام يصلي فإنما يناجي ربه فلينظر كيف يناجيه) .

وكان النبي ـ ﷺ ـ لشدة استحضاره وخشوعه في صلاته يسمع لجوفه أزيز كما جاء في حديث مطرف عن أبيه ـ عند أبي داود والنسائي ـ قال : (رأيت رسول الله ـ ﷺ ـ يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل) أي من شدة البكاء .

ـ الرابعة : قوله (وخيركم عند الله أتقاكم) وهذا تأكيد لقوله تعالى : ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات ـ ١٣)

والتقوى هي الالتزام بأوامر الله تعالى ونواهيه وهي جماع الخير كله .

وقد علَّق الله ، عز وجل ، قبول الأعمال بالتقوى في قوله : ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة ـ ٢٧)

وجاء معنى هذه الجملة أيضاً في قوله ـ ﷺ ـ : (خير الناس أقرؤهم وأتقاهم لله عز وجل) .

والتقوى هي الميزان الحقيقي عند الله للتفاضل بين الناس فلا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى كما جاء في الآية السابقة وكما جاء في حديث أبي هريرة عن الشيخين : قال : قيل : يارسول الله من أكرم الناس قال : أتقاهم ..) .

وإذا كان الناس قد تعارفوا في حياتهم وأمور معاشهم على اعتبارات بينهم يميزون بها هذا عن ذلك ويرفعون بها أناساً ويخفضون آخرين .

وذلك كالمال والجاه والمنصب والقوة وكثرة العدد .. إلى غير ذلك من الأمور التي درج عليها الناس .

فإن هذه الاعتبارات أوجدها الناس من عند أنفسهم وتعارفوا عليها بحكم العادة أو العرف أو الوراثه فقط .

ولكن الاعتبار الوحيد في ميزان الله تعالى هو التقوى . كما جاء في الحديث أنه ـــ ﷺ ـــ طاف يوم فتح مكة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (الحمد لله الذي أذهب عنكم عُبيّة الجاهلية وتكبرها .. يا أيها الناس إنما الناس رجلان مؤمن تقي كريم على الله . وفاجر شقي هين على الله) ثم قرأ الآية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ (الحجرات ـــ ١٣) .

كما جاء في خطبته ـــ ﷺ ـــ في حجة الوداع حيث قال : (أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم وليس لعربي فضل على عجمي إلا بالتقوى) .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ أهمية الصلاة ومكانتها في الإسلام وأنها أقوى الأعمدة التي يقوم عليها الدين .

٢ ــ اعتماد الصلاة على الخشوع فهو روحها ولبها والصلاة بدون خشوع لا عمود لها .

٣ ــ إن ميزان المفاضلة بين الناس إنما هو بالتقوى وليس بالاعتبارات الأخرى القائمة بين الناس .

التشديد على حضور الجماعة

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال : (لقد هممت بحطب فيحطب ، ثم آمر بالصلاة فيؤذن بها ، ثم آمر رجلا يؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال فأحرِّق عليهم بيوتهم . والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين حسنتين لشَهِد العشَاء) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع بن حبيب في مسنده برقم [١٨٢] وأخرجه أيضا البخاري وأبو داود والترمذي وابن ماجه والترمذي ومالك والدَّارمي والنسائي .

المعنى اللغوي :

ـ **هممت** : الهم ، العزم ، وقيل الهم دون العزم .

ـ **أخالف إلى رجال** : أخالف إلى المشتغلين عن الصلاة ، المهملين للجماعة وأقصد بيوتهم .

ـ **فأحرق عليهم بيوتهم** : حرّق الشيء أتلفه بالنار ، وهذا الخبر وارد مورد الزجر ، لأن المقصود هو المبالغة في الإنكار على من يتخلف عن صلاة الجماعة وإلا فالإجماع منعقد على منع عقوبة المسلمين بالنار .

ـ **والذي نفسي بيده** : صيغة قسم كان النبي

ـ ﷺ ـ كثيراً ما يستعملها لتأكيد أقواله وبيان أهميتها .

ـ **عظما سمينا** : عظما مكسوا لحماً .

ـ **مرمـاتين** : بكسر الميم وحكي بفتحها تثنية مرماة وهي ما بين ضلعي الشاة وقيل المرماة : السهم الصغير الذي يتعلم به الرمي وهو أحقر السهام ، والمعنى : لو دُعي إلى أن يعطى سهمين من هذه السهام لأسرع الإجابة ، وقيل في تفسير المرماة غير ذلك .

ـ **لشهد العشاء** : اللام جواب القسم . العشاء : صلاة العشاء .

التحليـل :

في هذا الحديث بيَّن الرسول ـ ﷺ ـ أهمية الصلاة في الجماعة وحذر أيما تحذير من التخلف عنها ، والكلام وارد في صلاة العشاء خاصة وفي روايات أخرى جاء ذكر صلاة الفجر ؟ لأن كلا الوقتين ثقيل على ضعاف الإيمان وأصحاب العقيدة الموروثة ، الذين يسهل على الشيطان أن يصل إليهم فيحرمهم أجر الجماعة ، ثم يسعى ليبعدهم عن الصلاة نفسها .

لقد اختار الشيطان هذا الوقت ، فوسوس إلى المتكاسلين عن الصلاة ، وجمّل إليهم النوم وثقلهم عن الصلاة ، في فترة يسترخي فيه الإنسان من عناء النهار ، ويستسلم للراحة ، فكلما أراد المرء أن ينهض لصلاته شعر بأن مكانه يجذبه إليه ،

أو أن الوسادة تستهويه ، ودفء الفراش يحبسه عن أداء حق الله تعالى مع جماعة المسلمين في بيت من بيوت الرحمن ؛ حتى إذا أدركه آخر الوقت قام إليها ، حيث هو ، ونقرها نقراً خفيفا ثم سبح وحوقل وعاد إلى ما كان عليه .

أي إيمان يدَّعيه الإنسان ، إذا سمع المؤذن ينادي : (حي على الصلاة .. حي على الفلاح) فلا يجيب داعي الله ؟! وأي إسلام يزعمه ، إذا رأى الناس يسعون إلى بيت الله عز وجل ، ثم لاَ يتحرك هو ولا يسعى إلى الجماعة فيمن يسعىٰ ؟!

وصلاة الجماعة فرض عين ، وهي من شعائر الإسلام العظام ، تميزت بالأجر العظيم فقال عليه السلام : (الصلاة في الجماعة خير من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة) رواه الإمام الربيع وقال : (.. صلاة الرجل في الجماعة تُضعَّفُ على صلاته في بيته وفي سوقه ، خمسا وعشرين ضعفا وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم خرج إلى المسجد لا يخرجه إلا الصلاة ، لم يخط خطوة إلا رفعت له بها درجة ، وحطت عنه بها خطيئة) رواه البخاري .

لقد حث الرسول ــ ﷺ ــ على الصلاة في الجماعة ، وربط إقامتها برضاء الله وجعل تركها من علامات النفاق ففي الحديث الذي أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد وغيرهم عن ابن مسعود رضي الله عنه : (من سره أن

يلقى الله تعالى غدا مسلما ، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث ينادي بهن ، فإن الله شرع لنبيكم سنن الهدى ، وإنهن من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف) .

هذا نموذج من فكر السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، كانت قلوبهم عامرة بالإيمان بالله ، لم يخطر ببالهم معنى التخلف عن الصلاة في الجماعة ، ولم يخطر ببالهم معنى التفريق بين التصديق والعمل ، فكانوا يتسابقون إلى ما فيه رضوان الله ، متمسكين بسنن الهدى يَفزعون من كل مظاهر النفاق .. ـــ إنه الإسلام وكفى ـــ .

أدرك السلف الصالح أبعاد الجماعة ، وغرسها الوحدة بين المسلمين ، وأنها من أسباب قوتهم ، مستلهمين ذلك من قول النبي ـــ ﷺ ـــ في الحديث الذي أخرجه أبو داود والنسائي وغيرهما عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ـــ ﷺ ـــ يقول : (ما من ثلاثة في قرية ولابدو لا تقام فيهم الصلاة ، إلا قد استحوذ عليهم الشيطان ؛ فعليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) .

وفي الحديث الذي أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن النبي ـــ ﷺ ـــ قال : (بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة) .

إن التركيز على صلاتي العشاء والفجر ، لا يعني جواز التخلف عن صلاة الجماعة في بقية الصلوات ، لكن النبي ـــ ﷺ ـــ قد نبه بهاتين الصلاتين لصعوبتهما على النفس ، وحتى تكون الدعوة إلى بقية الصلوات من باب أولى .

إن في السنة المطهرة نصوصا كثيرة تبين السر في تهديد النبي ـــ ﷺ ـــ للمتكاسلين عن حضور الجماعة ، فقد أغضب صنيعهم هذا رسول الله ـــ ﷺ ـــ فاعتبره إستهانة بها ، ففكر في تأديبهم ومعاقبتهم حتى يجعل حداً لهذه الظاهرة كيف لا . وقد فضلوا لذة الدنيا الفانية على وعد الله بالخير في العقبى ، وهو تفضيل خاطىء لا يذهب إليه المسلم الحق ، فهو من قبيل من استحب العمى على الهدىٰ وفضل ما يفنى على ما يبقى ، إن كل ذلك انحراف عن منهج الإسلام القائم على مفهوم الجماعة والانضباط والقوة والترابط بين عناصر المجتمع (.. إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) .

ينكر النبي ـــ ﷺ ـــ في خاتمة حديثه على تاركي الجماعات ، ويقبح المقاييس والموازين التي يقيسون بها الأشياء ، مؤكداً ذلك بقوله (.. والذي نفسي بيده لو يعلم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهد العشاء) إنهم

صنف من الناس لا تحركهم إلا اللذة المادية من ملء البطون واغتنام شهوات النفس فتراهم ينشطون لذلك ـــ بل يتسابقون ـــ في حين لا يثيرهم المؤذن في النداء : (حي على الصلاة ، حي على الفلاح) وإنما أخلدوا إلى الأرض واتبعوا أهواءهم : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ (الشعراء ٢٢٧) خويت قلوبهم من الإيمان المحرك للجوارح الذي يدفع بصاحبه إلى التسابق في سبيل الخير .

ما من شك أن التهديد في الحديث إنما هو موجه لمن كلف بصلاة الجماعة من الرجال ، ولا يَتعلق بغيرهم ، فصلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد ، والصبي غير مكلف ، فالجماعة لهؤلاء مجرد فضيلة فلا يلحقهم شيء مما رأينا .

ما يستفاد من الحديث :

١ ـــ يؤكد النبي ـــ ﷺ ـــ على فضل صلاة الجماعة ، ويحث عليها ويشدد على المتخلفين عنها .

٢ ـــ في الحديث دليل قوي على أن صلاة الجماعة فرض ، وليست مجرد سنة مؤكدة .

٣ ـــ يجوز شرعا مباغتة أهل الفساد (الزناة والمخمورين والمتعاطين للمخدرات) وغيرهم ، في أوكارهم .

٤ ــ من حق الحاكم المسلم أن يستعمل أساليب الشدة مع المتنطعين عن الإسلام في حدود الشرع الشريف .

٥ ــ المسلم الحق هو الذي يقدم الآخرة عن الدنيا ويسارع إلى الصالحات من الأعمال .

من كَثُر ماله ولم يُزكِّه

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي ـ ﷺ ـ قال : «من كثر ماله ولم يزكه جاءه يوم القيامة في صورة شجاع أقرع له زبيبتان ، موكل بعذابه حتى يقضي الله بين الخلائق» .

الحديث أخرجه الإمام الربيع بن حبيب برقم [٣٤٣] وأخرجه البخاري ومالك والنسائي وابن حبان وابن ماجه .

المعنى اللغـوي :

ـ **شجاع** : ثعبان وهو نوع من الحيات الضارة الخبيثة .

ـ **أقـرع** : في رأسه بياض من شدة السُّم .

ـ **الزبيبة** : الرغوة والزبد في الشدقين ويكون عند الغضب .

ـ **مُوكَّـل** : مُكلّف .

ـ **يقضي الله بين الخلائق** : يحكم بين الناس .

التحليـل :

يتعرض هذا الحديث الشريف لموضوع الزكاة ـ الركن الثالث من أركان الإسلام ـ ويبين من خلال تهديد مانعها ، أهميتها ووجوب أدائها . فهي حق الفقير في مال الله الذي استخلف فيه الأغنياء .

ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن الزكاة قرينة الصلاة ، جمع الله بينهما في القرآن الكريم ، في مواضع عدة ، وجعل صحة احداهما قائمة على صحة الأخرى ؛ فقد أخرج الإمام الربيع بن حبيب ـــ رضي الله عنه ـــ عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ قوله : (لا صلاة لمانع الزكاة ـــ قالها ثلاثا ـــ والمتعدي فيها كمانعها) . وقرنها الله تعالى بالتقوى وجعلها من أسباب الرحمة الإلهية فقال عز وجل :

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ (الأعراف ١٥٦)

وبين أن أداء الزكاة إحدى صفات المؤمنين فقال عنهم :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَاعِلُونَ﴾ . (المؤمنون ـــ ٤)

إن التهديد في الحديث الشريف موجه لكل من كثر ماله من المسلمين والمسلمات الذين آتاهم الله من فضله الواسع ، فتوفرت في هذا المال شروط الزكاة من النصاب وغيره ، وارتفع عنه موانعها ثم لم يؤدوها إلى أصحابها ـــ الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه العزيز في سورة التوبة : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾

وعبر النبي ـــ ﷺ ـــ عن هذا التهديد بأن الله سبحانه وتعالى يوم تعرض أعمال الخلائق عليه ، يحول مال الإنسان الذي لم يُخرج زكاته بعد وجوبها ـــ إلى شجاع أقرع ، وهو

صنف من الحيات يكون أجرأها ، وأخبثها ، وأقبحها منظراً ، أبيض الرأس من شدة سمه تتمعط لذلك فروته ، ويظل هذا الثعبان يهاجم مانع الزكاة ، وقد ظهر الزبد على شدقيه من شدة الهيجان والغضب ، فلا يقدر على الفرار منه ، يمسي ويصبح وهو يعذب مانع الزكاة ـــ كما أمره الله تعالى ـــ مُحكما عليه الخناق ، حتى يقضي الله بين الخلائق .

وجاء في بعض الروايات أن هذا الثعبان يلقى مانع الزكاة فينفر منه مرتين ثم يستقبله فيفر ويقولُ (مالي ولك ؟ فيقول : أنا كنزك ، أنا كنزك . فيتقيه بيده فيلقمه) وفي رواية : (أنا مالك . أنا كنزك) وفي أخرى أنه يتبع صاحبه حين يفر منه . فإذا رأى أنّ لابد منه أدخل يده في فيه فجعل يقضمها كما يقضَم الفحل) . وعند الطبراني أنه (ينقر رأسه) وجاء عنه ـــ ﷺ ـــ أنه يطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بلهزمتيه) أي شدقيه .

تُصور هذه الروايات المتعددة للحديث شدة العذاب الذي ينتظر مانع الزكاة في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة مما يعد أهل الدنيا ـــ وسواء فسرنا هذا الحديث تفسيراً ماديا وكان الثعبان حقيقة ملموسة وكان العذاب حسيا ، أو كان ذلك مجرد تمثيل لعذاب النفس من شدة الندم على ما فات ، واستحضار هذا الرجل لما ينتظره من صنوف عذاب جهنم ـــ فإن الأمر

واجد ، إذ ليس أشد ألما على الإنسان من أن يرى المال الذي تعب في جمعه ، وكان سبب وجاهته في الحياة الدنيا وهو يتحول إلى نقمة عليه ، فيعذب بسببه ويذل على مرأى من الخلائق ، إنه ليس أشد عذابا على الإنسان من أن ينتظر العذاب نفسه في وقت لا يمكن له فيه أن يتدارك ما فات .

لقد أكد النبي ـــ ﷺ ـــ هذا المصير الذي ينتظر مانع الزكاة بصور مشابهة من العذاب فقد جاء عنه ـــ عليه السلام ـــ من طريق أبي هريرة عند البخاري ومسلم وغيرهما أنه قال : (ما من صاحب ذهب ولا فضة لايؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صُفِّحت له صفائح من نار فأُحْمِيَ عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينُه وظهره ، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيلهُ إما إلى الجنة وإما إلى النار) . قيل : يارسول الله فالإبل ؟ قال : (ولا صاحب إبل لا يؤدي منها حقها ـــ ومن حقها ، حلبها يوم وِرْدِهاَ ـــ إلا إذا كان يوم القيامة بُطِحَ لها بقاعٍ قَرْقَرٍ (أرض واسعة مستوية) أوفر ما كانت ، لا يفقد منها فصيلا واحداً ، تطؤه بأخفافها ، وتعضه بأفواهها حتى يُقضى بين العباد .. الحديث .

إن بيان الحديث لمصير مانع الزكاة في الآخرة إنما هو أسلوب من أساليب التربية النبوية المبنية على الترغيب والترهيب

ففي الحديث دعوة من النبي الكريم ـــ ﷺ ـــ لأغنياء المسلمين أن يدركوا حق الإدراك أن المال الذي بين أيديهم إنما هو مال الله ، ونعمة منه ، ووديعة في ذمتهم يجب عليهم أن يتصرفوا فيه بما يرضي الله تعالى ، ومن ذلك إخراج الزكاة منه . وان عدم إخراجها خيانة للأمانة .

إن مانع الزكاة معتد على حق الفقراء ، ظالم لهم ، شأنه شأن قارون الذي ذكره الله تعالى في القرآن الكريم ـــ منكراً فضل الله عليه قائلا في تبجح وصلف ، عما أنعم الله تعالى به عليه : ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ﴾ (القصص ٧٨) تعبيراً منه عن إنكاره أن يكون الله هو الرازق ، وأن الرزق مقدر من عنده يؤتيه من يشاء ليمتحنه فيه .

وهذا النوع من الناس يستحق ما توعده الله به من عذاب فيوكل به ذلك الثعبان الهائج يتبعه أينما فر ، ويستفزُّه بأن يُذَكره بأنه ماله الذي جمعه ومنع حق الفقراء فيه ، وينقر رأسه ، أو يقضم يده ـــ مصداقاً لقوله عزَ وجل :
﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾ ﴾ . (آل عمران) .

★ ما يستفاد من الحديث :

١ ــ الزكاة ركن من أركان الإسلام ومنعها أهلها من كبائر الذنوب .

٢ ــ ينتظر مانع الزكاة عذابٌ شديدٌ في الآخرة ، وغضب من الله .

٣ ــ المال في نظر الإسلام ، مال الله والإنسان مُستخلف فيه مؤتمن عليه .

٤ ــ المال مجرد وسيلة وليس غاية .

٥ ــ المؤمن الحق هو الذي يثق في الله منعما ورازقا .

٦ ــ الزكاة وظيفة اجتماعية عظيمة ولها آثار إيجابية كبيرة .

فضل صوم رمضان

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ولو علمتم ما في فضل رمضان لتمنيتم أن يكون سنة) .

أخرج الحديث الإمام الربيع بن حبيب ـ رحمه الله ـ برقم [٣٢٧] وأخرجه أيضا الشيخان (البخاري ومسلم) بزيادة فيه ، ولم يذكرا : (ولو علمتم ما في فضل رمضان .. الخ) .

المعنى اللغوي :

الاحتساب : طلب الثواب من الله تعالى ، أو إخلاص العمل بحيث يكون الباعث على الصوم الإيمان ، لا الخوف من الناس ولا الاستحياء منهم ، ولا قصد السمعة والرياء .

التحليل :

الصوم من دعائم الإسلام وأركانه القويمة ، التي يبنى عليها المجتمع الإسلامي الحق . وهو صوم شهر رمضان . ولأهمية صيام هذا الشهر البالغة أوجبه الله تعالى في كتابه بقوله سبحانه :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ . (البقرة ـ ١٨٣) .

كما بينت هذه الآية الكريمة أن الصوم جاءت به شرائع الأنبياء من قبل زيادة في بيان أهميته . وقد أكدت هذا المعنى سنة النبيِّ ـــ ﷺ ـــ في كثير من أحاديثه عليه الصلاة والسلام بذكر فضله وعظيم أجره .

وهذا الحديث الشريف من الأحاديث التي تبين فضل صيام هذا الشهر وما ينعم به الخالق جلّ وعلا على صائمه من غفران الذنوب السابقة ، ليخرج من شهر رمضان كيوم ولدته أمه ، صفحته بيضاء ناصعة ، قد أذهبت حسنات الصيام ما فيها من السيئات وهذا باب من أبواب الرحمة التي يفتحها الله سبحانه وتعالى لعباده .

وقد تكفل الله سبحانه وتعالى بمجازاة الصائم حيث قال في الحديث القدسي الذي رواه الإمام الربيع ومالك والبخاري وغيرهم : «.. فارق عبدي شهوته وطعامه من أجلي فالصيام لي وأنا أجازي به» ذلك أن الصيام من الأعمال غير الظاهرة ، وإنما يتحكم في المرء حينئذ إيمانه بربه . إذ قد يترك الإنسان في نهار رمضان الطعام والشراب وغيرهما أمام أعين الناس ، ولكن يختلس الأوقات ويتحين الخلوات ليفعل مانهى الله الصائم عنه . على أن هنالك من الناس من يصوم عن الطعام والشراب لا غير ، ويطلق العنان للسانه بالغيبة والنميمة وذكر عيوب الناس ، ولعينه بالنظر إلى المحرمات ولا يتورّع عن المنهيات ،

فليس لهذا من صيامه إلا الجوع والعطش ، لقول الرسول ـ ﷺ ـ : (.. ولا صوم إلا بالكف عن محارم الله) ، وقوله عليه الصلاة والسلام : (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) ، وقوله عليه السلام : (الغيبة تفطر الصائم وتنقض الوضوء) .

أما من صام رمضان إيماناً وامتثالاً لأمر الله ، واحتساباً ورجاءً لما عند الله من الأجر والثواب ، ولم يقترف شيئاً من المحظورات من أكل الطعام والشراب في نهاره وترك الغيبة والنميمة والكذب وقول الزور والكلام الفاحش وسباب المسلم فهو الصائم الذي ينال ثواب صومه وجزاء عمله كاملاً غير منقوص . أما في الدنيا فرضى الله عز وجل ومغفرته ، وأما في الآخرة فالعتق من النار ودخول جنة فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين .

ولأجل جزيل ثواب الصائم وعظيم فضل الصوم ، قال عليه الصلاة والسلام : (ولو علمتم ما في فضل رمضان لتمنيتم أن يكون سنة) .

ومن فضائل الصوم الجليلة وفوائده الجمة ماعلّل الله تعالى به صيام شهر رمضان في قوله جل شأنه : «لعلكم تتقون» فالصوم سبب في حصول التقوى التي هي جامعة لكل خير .

ومن فوائده سكون النفس الأمارة بالسوء وخضوع

الجوارح من العين واللسان والأذن وغيرها .

ومن ثمراته أنه يوجب الرحمة والعطف لأهل المسكنة والضعف .

ومن ثمراته موافقة حال الفقراء بتحمّل ما يتحملون من غصص الفقر ، ويكابدونه من مشقات .

ومن فوائده الصبر الذي يتعوده الصائم ، حيث يمنع الصائم نفسه من أمور شتى تشتهيها النفس وترغب فيها ، والصبر من أعظم أفعال البر ، قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ : (عجباً لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير ، إن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له ، وإن أصابته سراء شكر فكان خيراً له) .

ومن فوائد الصوم الصحية ، استراحة الجسم ، وصحة البدن لقوله عليه الصلاة السلام (صوموا تصحوا) . ولا يزال العلم الحديث يكشف لنا الفوائد الجمة والتي يجنيها الصائم ، في هذه الحياة الدنيا ، أما في الآخرة فيكفيك أن للصائم في الجنة بابًا يقال له الريان ، كما ورد عن رسول الله ﷺ .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ الصوم باب من أبواب المغفرة وحصول رضا الله عز وجل .

٢ ــ من شروط قبول الصوم الكف عن المحرمات ومنهيات الصيام .

٣ ــ للصوم فضائل كثيرة لا تعد ولا تحصر ، وصحة الجسم من أبرز فوائده الدنيوية .

آداب الصَّـوم

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (الصوم جُنّـة ، فإذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل ، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه ؛ فليقل إني صائم) .

رواه الإمام الربيع في مسنده برقم [٣٣٠] ورواه أيضا البخاري ومالك ومسلم وأبو داود وابن ماجه والترمذي والنَّسائيّ وابن خزيمة عن أبي هريرة أيضا مع اختلاف في بعض الألفاظ .

المعنى اللغـوي :

ــ **جُنّـة** : بضم الجيم .. وقاية وستر .

ــ **الرفـث** : فاحش الكلام ، ويطلق على الجماع ، وعلى مقدماته ، وعلى ذِكْره مع النساء .

ــ **فلا يجهل** : لا يفعل مثل أفعال أهل الجهل ، كالصياح والسَّفه وغير ذلك .

ــ **الشـتم** : السب ، والمشاتمة : المسابة إذا كانت من الطرفين .

التحليـل :

هذا الحديث جزء من حديث طويل يرويه الرسول

ـ ﷺ ـ عن ربه وهو ما يسمى بالحديث القدسي .

وأوله قال الله عز وجل فيه : (كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، فإنه لي وأنا أجزي به ..) ثم ساق الحديث الذي مَعَنا هنا .

وتمامه : (والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك ، وللصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه) .

وفي هذا الحديث إرشاد للمسلم الصائم ، إلى الآداب التي يجب أن تُراعى وقت الصوم ، وأن يلتزم بها الصائم ؛ ولكن قبل أن يشرع في ذكر هذه الآداب : يبدأ الحديث بذكر حقيقة من حقائق الصوم ، وهي أنه جُنة أي ستر ووقاية .

فهو ستر من النار كما ورد في بعض الروايات .. (جنة من النار) ، وهو ستر ووقاية من الآثام والخطايا التي يمكن أن يقع فيها الإنسان .

وهو ستر من الشهوات ، بمعنى أنه يقي الصائم ويجنبه من الوقوع في الشهوات التي تفضي به إلى الحرام .

وهكذا يكون الصوم مانعا لصاحبه من الوقوع في المعاصي وما يدفع إليها من الشهوات ، ومن ثم يكون وقاية له من النار في الدار الآخرة .

ومجموع هذه العطاءات وهذه الفوائد التي يعود بها الصوم

على الصائم هي : تقوى الله عز وجل ، كما تقرر ذلك الآية الكريمة :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (البقرة ــ ١٨٣)

ثم ينتقل الحديث إلى ذكر جملة من الآداب التي يجب أن يكون عليها الصائم .. وهي كالتالي :

(١) الابتعاد عن الرفث .. فالصائم لا ينطق بفاحش الكلام ، ولا بلغو القول ، ولا بالباطل ، ولا يقول إلا الحق ، فهو في عبادة من أعظم العبادات .

فيجب أن يصون لسانه وجوارحه عن الباطل وعن كل ما من شأنه أن يكدر صفو هذه الشعيرة ، ففي الحديث الذي أخرجه البخاري وغيره ، عنه ــ ﷺ ــ قال : (من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) .

ولا ريب أن للكلام مجالات واسعة غير مجال الفحش والرفث ، فهنالك مجال الشكر ، والذكر والدعاء ، وهنالك مجالات العبادة بشتى أنواعها .

(٢) الابتعاد عن الجهل ، فالصائم لا يفعل مثل الجهال ، وأصحاب السفه من اللغط والصياح ، ورفع الصوت على الناس ، والتطاول على الآخرين ، والسخرية من الغير ،

وكل ما من شأنه أن يعتبر من أفعال الجهال .

فالمسلم مطالب أن يبتعد عن هذا المسلك في كل أحواله ، وأن يكون متميزاً بأخلاقه ومعاملاته الحسنة ، وتصرفاته المتزنة ، ويتأكد ذلك بصفة واضحة أثناء تأديته لهذه العباده .

(٣) إذا أراد أحد أن يقاتله أو يشاتمه ، فليقل : إني صائم ، وقد جاء مكررا في بعض الروايات ، هكذا .. (إني صائم ، إني صائم) وذلك بقصد التأكيد .

وليس المراد بالمفاعلة هنا حدوثها من الطرفين ، وإنما يقصد بها التهيؤ وإرادة الشيء ولو من أحد الطرفين — والمعنى إذا أراد أحد مقاتلته أو مشاتمته ، أو مسابته في بعض الروايات ، فلا يعامله بنفس المعاملة ، وإنما يقول له : (إني صائم) . وذلك لكي يكف ويمتنع مَنْ أراد مقاتلته أو مشاتمته ، وورد في بعض الروايات بعد (ولا يجهل) قوله : (ولا يصخب) والصخب معناه رفع الأصوات ، واللجاجة عند الخصومة ، وبالجملة فإن الحديث ينهى الصائم عن الوقوع في مثل هذه الأمور التي تتنافى مع خلق المسلم وآدابه بصفة عامة ، ومع سلوك الصائم وآدابه بصفة خاصة .

ومعلوم أن النهي عن هذه الأمور في وقت الصوم ،

لا يعني إباحتها خارج وقت الصوم ، وإنما يعني أن النهي يتأكد بصفة أكثر وقت الصوم .

ما يُستفاد من الحديث :

١ ــ الصوم يمنع صاحبه عن كثير من الآثام والخطايا ، ومن ثم يكون وقاية للصائم من النار .

٢ ــ نهي الصائم عن الشتم والجهل والكلام الفاحش والقول البذيء .

٣ ــ توجيه الصائم عندما يواجه من يريد مقاتلته أو مشاتمته أن يقول : (إني صائم) .

٤ ــ أن الإسلام يرقي بالمسلم ويربيه ــ من خلال هذه العبادات ــ إلى السلوك الحسن ، والأخلاق الحميدة ، والطيب من القول .

فضـل الحـج والعمـرة

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما ، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع بن حبيب ـ رحمه الله ـ برقم [٤٤٣] وأخرجه أيضا مالك والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه والأصفهاني .

المعنى اللغـوي :

العمـرة : زيارة بيت الله تعالى بالطواف حوله ، والسعي بين الصفا والمروة بإحرام .

المبـرور : المقبول الذي لا إثم فيه ولا رياء .

التحليـل :

شرع الله سبحانه وتعالى لعباده أعمالا تصلهم به وتخلصهم من شوائب الذنوب وتطهرهم من رجس الآثام . وبقدر ما يكون الذنب عظيماً ، تكون التوبة منه أوجب والندم عليه أعظم . وينبغي على المسلم أن يكون مسارعاً إلى الخيرات ، مبادراً إلى التوبة والاستغفار ، مقتنصًا النفحات التي يفتحها الله تعالى عليه ، فلا تضيع هباءً ولا يدعها تفلت منه ، فإنه

سبحانه شرع لعباده من الأعمال ما يستطيع بها العبد أن يتقرب إليه ويتزلف من رحمته . ومن عظيم رحمته سبحانه أن العمل الصالح يتضاعف أجره كلما اقترن بمشقة وازداد تكلفه .

ومن هذه الأعمال الحج المفروض على كل مسلم حيث أوجبه الله تعالى بقوله :

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (آل عمران ـــ ٩٧)

ووردت أحاديث مطهرة عن النبي ـــ ﷺ ـــ في تأكيد هذا الوجوب ، منها ما رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن غير واحد من الصحابة عن النبي ـــ ﷺ ـــ قال : (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت) .

ومن تلك الأعمال العمرة ، وهي زيارة البيت الحرام بعد أن يحرم قاصد العمرة من الميقات المحدد له ، فيأتي الكعبة ويطوف بها سبعة أشواط ثم يسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط أيضاً ، ثم يحلق أو يقصر . وتصح في أي يوم من السنة . ولها فضل عظيم ، وأجر من الله كريم ، حسبك أنها كفارة للذنوب ماحقة للسيئات ، لقول الرسول عليه الصلاة السلام : (العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما) . فهي تكفر ما يرتكبه بعد عمرته الأولى . ولذا كانت العمرة التي تليها

كفارة لتلك السيئات . وما أعظمها من نعمة وأسنحها من فرصة ، لكي يعود المذنب بالتوبة إلى ربه فيخرج من ذنبه خالصاً نقياً .

وقد وردت أحاديث تبيِّن فضل العمرة ، وأجر المعتمر ، من ذلك ما رواه ابن خزيمة في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها ، قالت : قلت : يارسول الله ، هل على النساء من جهاد ؟ قال : عليهن جهاد لا قتال فيه : (الحج والعمرة) ، وما رواه النسائي عن أبي هريرة عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ قال : (جهاد الكبير والضعيف والمرأة : الحج والعمرة) .

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ : (تابعوا بين الحج والعمرة ، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب ، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة ، وليس للحجة المبرورة جزاء إلا الجنة) رواه الترمذي .

فأنت ترى أن العمرة والحج ينفيان الذنوب بحيث يعود الحاج والمعتمر من تلك الأماكن المقدسة طاهراً من ذنوبه قد غفرها الله له ، وهما بمثابة الجهاد الذي هو التجارة الرابحة لقوله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الصف)

ولا يخفى على أحد أجر الجهاد وفضله . ولذا ورد عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : وفد الله ثلاثة : (الحاج والمعتمر والغازي) رواه ابن خزيمة وابن حبان . وفي رواية : (الحجاج والعمار وفد الله ، إن دعوه أجابهم ، وإن استغفروه غفر لهم) .

على أننا ينبغي أن لا نغفل عن قوله ـ ﷺ ـ (الحج المبرور) فإن الحج لابد له من شروط على الحاج أن يستوفيها ، ومنها بر الحج ، وهو معنى واسع يشمل أداء كل ما يلزم الحاج من مناسك ، واجتناب كل ما ينهى عنه . فعن النبي عليه السلام ، قال : (من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه) رواه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه والترمذي بلفظ (غفر له ما تقدم من ذنبه) وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ـ ﷺ ـ قال : (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) ، قيل : وما بره ؟ قال : (إطعام الطعام وطيب الكلام) ، وفي رواية : (إطعام الطعام وإفشاء السلام) . وفي هذا بيان أدب نبوي ينبغي على الحاج التخلق به وهو حسن الخلق بما يشمله من حسن معاملة الناس وإفشاء السلام والإنفاق على الفقراء والمحتاجين ، فقد روى الحاكم عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال لها في عمرتها : (إنه لك من الأجر على قدر نَصَبك ونفقتك) . والنَصَب (التعب) وقال ـ ﷺ ـ : (النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف) .

كما يشمل عدم مضايقة الناس وعدم شتمهم وترك ومزاحمتهم ، ويشمل النصح وتعليم الجاهل والحرص على الطاعة ، واجتناب كل المعاصي والمنكرات وزلات اللسان كالغيبة والنميمة والكذب وغير ذلك وإلا لم يكن الحج مبروراً ولا العمرة .

ومما يلزم الحاج والمعتمر لكي يكون الحج والعمرة مقبولين ، النفقة عليهما بمال حلال طيب لم يؤخذ من حرام ، فمن حج أو اعتمر بمال حرام فقد باء بالإثم ولا ثواب له بل يأثم ويؤزر . قال رسول الله ـ ﷺ ـ : «إذا خرج الحاج بنفقة طيبة ، ووضع رجله في الغرز فنادى : (لبيك اللهم لبيك ، ناداه منادٍ من السماء : لبيك وسعديك ، زادك حلال ، وراحلتك حلال ، وحجك مبرور غير مأزور) ، وإذا خرج بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى : (لبيك ، ناداهُ منادٍ من السماء ، لا لبيك ولا سعديك ، زادك حرام ، ونفقتك حرام ، وحجك مأزور غير مبرور) . رواه الطبراني في الأوسط والأصفهاني .

وفي هذا رادع عظيم للذين لا تشبع بطونهم من الحرام حتى يؤدوا عباداتهم بالمال الحرام ، بئس ما يفعلون .

هذا ولا يفوتنا أن ننبّه ونذكّر على فضل الاعتمار في شهر رمضان الذي بينه رسول الله ـ ﷺ ـ بقوله : (عمرة في

رمضان تعدل حجة) رواه ابن ماجة ذلك أن شهر رمضان تضاعف فيه الأجور بحيث يكون أجر الفريضة كأجر سبعين ، وأجر النافلة كأجر الفريضة ، والله يضاعف لمن يشاء .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ العمرة والحج ينفيان الذنوب .

٢ ــ تكفل الله لمن حج حجاً مبروراً بأن يدخله الجنة .

٣ ــ الحج المقبول هو الذي لا يشوبه شيء من المنهيات والمخالفات .

٤ ــ البر في كل عبادة شرط لقبولها .

فضل التسبيح

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (من قال على اثر صلاته سبحان الله والحمد لله مائة مرة حطت خطاياه ولو كانت مثل زبد البحر) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع رحمه الله برقم [٥٠٧] وأخرجه أيضا البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد بألفاظ متقاربة .

المعنى اللغوي :

اثر صلاته : بعد صلاته .

سبحان الله : اسم منصوب على أنه واقع موقع المصدر لفعل محذوف تقديره سبحت الله سبحانا كسبحته تسبيحا ولا يستعمل غالبا إلا مضافا ومعنى سبحان الله : تنزيه الله عما لا يليق به من كل نقص .

حطت خطاياه : المراد بالخطايا صغائر الذنوب دون كبائرها وسيأتي لهذا بيان في الشرح .

ولو كانت مثل زبد البحر : كناية عن المبالغة في الكثرة نحو ما طلعت عليه الشمس .

التحليـــل :

النطق من أعظم النعم التي أسبغها الله تعالى على عباده فمن الشكر لهذه النعمة أن يسخرها الإنسان فيما يرضي ربه ، عز وجل ، ليؤدي به ذلك إلى السعادة الأبدية والنعيم المقيم وليحذر كل الحذر من كفران هذه النعمة باستعمالها فيما يسخط الله ، عز وجل ، كالكذب والغيبة والنميمة وقول الزور وشهادة الزور والسعاية بالناس والسخرية والاستهزاء بهم والتقول على الله بغير علم وما شابه ذلك من آفات اللسان .

وفي صنوف طاعة الرحمن شغل عن الفضول باللسان

ومن أعظم صنوف الطاعات التي تؤدى باللسان ذكر الله عز وجل فقد تضافرت النصوص الدالة على الحث على ذكر الله تعالى وبيان فضله من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ـــ ﷺ ـــ .

أما من الكتاب فيقول الله تعالى :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ ﴾ (الأحزاب)

وليس في تخصيص البكرة والأصيل بذلك دليل على عدم استحبابه في غيرهما من سائر الأوقات لأن ذكر بداية الشيء ونهايته يشمل ذكر وسطه أيضا ، وإنما خصا بالذكر لأنهما

مشهودان بملائكة الليل والنهار ولما في هذين الوقتين من خاصية تستجيش القلب إلى الاتصال بالله تعالى الذي لا يزول ولا يحول وهو مبدل الأحوال ومقلب الليل والنهار ويقول سبحانه وتعالى :

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (البقرة ـــ ١٥٢)

فأي فضل أعظم من هذا الفضل وأي تشريف لهذا المخلوق العاجز الضعيف من قبل خالقه القادر القوي أجل من هذا التشريف حيث أن العبد إذا ذكر ربه فربه يذكره في ملأ خير من ملئه . ففي الحديث الصحيح قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ يقول الله عز وجل (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) .

وذكر الله تعالى تطمئن به قلوب عباده المؤمنين حيث تحس بصلتها بالله رب العالمين فتأنس في جواره وتأمن في حماه المنيع وتسكن من الاضطرابات وتهتدي من الحيرة لإدراكها الحكمة من الخلق ويقينها بالمصير .. ترضى بكل ما يواجهها في هذه الحياة لإيمانها بأنه لا يقع شيء في هذا الكون إلا بقضاء وقدر من الله .

وبقدر القرب من الله وإيمان العبد ويقينه تتفاوت رتب هذه الطمأنينة في القلوب فهي حقيقة لا يعرفها إلا من خالط الإيمان بشاشة قلبه فاتصل بحبل الله المتين واستنار بنوره المبين ، وهو

ما يبيِّنه الله تعالى في قوله عز من قائل :

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾

(الرعد الآية ــ ٢٨)

أما من السنة فقد بين لنا رسول الله ــ ﷺ ــ الفرق بين من يذكر ربه عز وجل وبين من لا يذكره فالأول حي والآخر ميت ذلك لأن ذكر الله تعالى يحي القلوب ويجلو صدأها ويذهب ما ران عليها وما دنسها من شهوات فتخفق في كنف الله ورضوانه وتعيش أسعد اللحظات هانئة مطمئنة .. أما الآخر فيعيش في بؤس وشقاء لأنه حرم من الأنس بجوار الله . فهو مبتوت الصلة عما حوله من الكون يقتله الخواء الروحي والفراغ النفسي الذي لا يسده شيء سوى الاتصال بالله تعالى . ففي الحديث الذي رواه الشيخان وغيرهما من طريق أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكره مثل الحي والميت) .

وأخرج الشيخان والترمذي وغيرهم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) .

وأخرج الشيخان أيضا وغيرهما عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (ألا أدلك على كنز من

كنوز الجنة) فقلت بلى يارسول الله قال : (قل لا حول ولا قوة إلا بالله) .

وروى الترمذي بإسناد حسن أن رجلا قال يارسول الله أن شرائع الإسلام قد كثرت علي فأخبرني بشيء أتشبث به فقال : (ولا يزال لسانك رطبا من ذكر الله) .

هذا بعض ما ورد في فضل ذكر الله عموما واستحبابه في كل الأوقات إلا فيما ورد الشرع باستثنائه كحال الاستماع إلى خطبة الجمعة والقيام في الصلاة وعندما يعاشر الرجل امرأته وعند قضاء الحاجة ، أما عن التسبيح نفسه الذي هو موضوع حديثنا هذا فهو من أعظم الأذكار أجرا وأجلها قدرا وأرفعها منزلة وأسماها مرتبة وناهيك في بيان فضله ما أخرجه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم) وأخرج مسلم وغيره عن أبي ذر رضي الله عنه أن رسول الله ـ ﷺ ـ سئل : أي الكلام أفضل؟ قال : (ما اصطفى الله لملائكته ولعباده سبحان الله وبحمده) وأخرج مسلم عن أبي ذر أيضا قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (ألا أخبرك بأحب الكلام إلى الله) ؟ قلت : يارسول الله أخبرني بأحب الكلام إلى الله فقال ـ ﷺ ـ : (إن أحب

الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده) .

فتسبيح الله تعالى مما يذهب السيئات ويحط الخطيئات كما نص على ذلك حديث أبي هريرة .

ولا ريب أن المراد بالخطايا التي تحط عن العبد بتسبيحه الله تعالى وحمده مائة مرة اثر صلاته هي صغائر الذنوب دون كبائرها أما كبائر الذنوب [1] فقد قامت الأدلة القطعية من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ـــ ﷺ ـــ على أنها تدخل صاحبها النار وتخلده فيها وأنها لا تغفر إلا بالتوبة النصوح يقول سبحانه وتعالى :

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ (النساء ـــ ١٤)

ويقول الحق سبحانه :

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ (الجن ـــ ٢٣)

ويقول النبي ـــ ﷺ ـــ فيما أخرجه عنه البخاري ومسلم وغيرهما من طريق أبي هريرة رضي الله عنه : (من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا فيها أبدا ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم

---

(١) وهي التي يثبت لفاعلها بسببها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة كالزنا وشرب الخمر وأكل الربا وغيرها من الكبائر

خالدا فيها أبدا ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا) .

وأخرج أحمد والنسائي والحاكم والبزاز عن ابن عمر ، رضي الله عنهما أن النبي ــ ﷺ ــ قال : (لا يدخل الجنة عاق ولا مدمن خمر) وفي رواية أخرى (ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث) وهو الذي يقر السوء في أهله ولا يغار عليهم .

والأدلة على ذلك أكثر من أن تحصى وأوفر من أن تستقصى .. فكلِ حديث ورد فيه ذكر غفران الذنوب بعمل ما ــ كحديث ــ (من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيها نفسه غفر له ما تقدم من ذنبه) وكحديث (من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) إلى غير ذلك من الأحاديث التي نصت على غفران الذنوب لعملٍ بعينه ، فالمراد بتلك الذنوب إنما هي الصغائر منها دون الكبائر . ولقد أحسن من قال من العلماء (هذه الفضائل الواردة في الذكر إنما هي لأهل الشرف في الدين والكمال كالطهارة من الحرام والمعاصي العظام فلا تظن أن من أدمن الذكر وأصر على ما شاء من شهواته وانتهك دين الله وحرماته أن يلتحق بالمطهرين المقدسين ويبلغ منازلهم بكلام أجراه على لسانه ليس معه تقوى ولا عمل صالح) .

واعلم أخي القارىء الكريم أننا إنما ذكرنا لك هذا لئلا تغتر بظاهر الحديث فتسلك مسلك من غرتهم الأماني المضلة والادعاءات الفارغة فجرأهم ذلك على معصية الله عز وجل وقادهم إلى الإعراض عن العمل بكتابه الكريم . وقد حذرنا سبحانه وتعالى من ذلك فقال :

﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (النساء ــ ١٢٣)

وحذرنا عليه السلام من الوقوع في المعاصي اغترارا بمثل هذه الفضائل واتكالا عليها فقال فيما أخرجه عنه البخاري في كتاب الرقاق من صحيحه بعد قوله ــ ﷺ ــ : (من توضأ مثل هذا الوضوء ثم أتى المسجد فركع ركعتين ثم جلس غفر له ما تقدم من ذنبه) قال : وقال ــ ﷺ ــ (ولا تغتروا) قال ابن حجر في فتح الباري[1] (.. لا تغتروا فتعملوا الكبيرة بناء على تكفير الذنوب بالصلاة فإنه خاص بالصغائر ، أولا تستكثروا من الصغائر فإنها بالاصرار تعطي حكم الكبيرة فلا يكفرها ما يكفر الصغيرة أو إن ذلك خاص بأهل الطاعة فلا يناله من هو مرتبك في المعصية) .

---

(١) ج ١١ ص ٢٨١

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ عظم امتنان الله تعالى على عباده بمضاعفة أجور أعمالهم الصالحة .

٢ ــ الذنوب التي تغفر بالأعمال الصالحة إنما هي الصغائر منها دون الكبائر .

٣ ــ من السنة الدعاء والذكر بعد الصلاة .

٤ ــ المسلم لسانه رطب من ذكر الله .

فضـــل الشـــهيد

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة عن النبي ـــ ﷺ ـــ قال : (والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يكلم في سبيله ، إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب دما اللون لون الدم والريح ريح المسك) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع رحمه الله برقم [٤٥٣] وأخرجه أيضا مسلم والنسائي وابن ماجه والدارمي ومالك في الموطأ وأحمد في مسنده .

المعنى اللغـــوي :

يكـــلم : بضم الياءَ وسكون الكاف وفتح اللام أي يجرح .

يثعـــب : بفتح الياء وإسكان المثلثة وفتح العين أي يجري متفجرا .

التحليـــل :

الإسلام دين عالمي وقد جعل الله رسالته رحمة للعالمين فهي غير مقصورة على أمة معينة ولا شعب معين ولا جنس معين يقول عز وجل :

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء ـــ ١٠٧)

ويقول سبحانه ﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنعام ـــ ٩٠)

فيجب على المسلمين أن يبلغوا هذا الدين لكافة الناس ليسعدوا به ويعيشوا تحت ظلال رحمته أينما كانوا ، لذا شرع الله سبحانه وتعالى الجهاد لإخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن الغي إلى الرشد ، ومن الضلال إلى الهدى ، ومن الحيرة إلى البصيرة ؛ ولحماية المسلمين من أن يفتنوا في دينهم أو تستباح حرماتهم وتحتل أرضهم . فلا عجب بعد هذا إذا طالعتنا النصوص الكثيرة في كتاب الله وسنة نبيه ، عليه أفضل الصلاة والسلام ، بإبراز فضل الجهاد والمجاهدين وفضل الشهادة في سبيل الله تعالى ، فالله سبحانه وتعالى يكتب لهم حركاتهم وسكناتهم وجوعهم وظمأهم وتعبهم ونفقاتهم صغرت أم كبرت وإغاظتهم الكفار بأي نوع من أنواع الأذى المشروع الذي يلحقونه بهم ليجزيهم به أحسن ما كانوا يعملون يقول تعالى : ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَـٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ (التوبة)

ويقول عز من قائل : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ (الصف)

فهذه هي التجارة التي يتمناها أولياء الله وعباده المجاهدون ليتوصلوا بها إلى رضا ربهم عز وجل ، تجارة رأس مالها الإيمان بالله ورسوله والجهاد في سبيله وربحها غفران الله ودخول جنته مع نصر مؤزر على أعداء الله تعالى وتمكين لأوليائه في الأرض .

ولقد حدد الله سبحانه وتعالى آجال الناس في هذه الحياة فهم لابد لهم من أن يفارقوها وتوارى أجسادهم في التراب . لكن المجاهدين الذي يقتلون في سبيل الله لا تنقطع حياتهم وإن كانوا في الظاهر يموتون كغيرهم وتتوارى أجسادهم في التراب لكنهم في الحقيقة ينتقلون إلى الحياة الحقيقية الغالية التي يجرى عليهم فيها الرزق الذي لا انقطاع له مثل حياتهم ولا يصيبهم حزن ولا هم بل هم في سرور مستمر واستبشار بمن وراءهم من المؤمنين الذين يتمنون لهم اللحاق بهم ، والناس في الدنيا وإن لم يشعروا بهذه الحياة الغالية وذلك الرزق الدائم

والاستبشار السار . ولكن عدم شعورهم بذلك لا يبيح لهم إنكار تلك الحياة التي يقررها الله سبحانه وتعالى في قوله :

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ (آل عمران)

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة ــ ١٥٤)

وكان الصحابة رضي الله عنهم لشدة حرصهم على الإكثار من الطاعات وصنوف المبرات يسألون النبي ــ ﷺ ــ عن أفضل الأعمال التي ترضي ربهم عنهم فعن عبادة بن الصامت قال : جاء رجل إلى رسول الله ــ ﷺ ــ فقال : يانبي الله (أي العمل أفضل ؟) فقال ــ ﷺ ــ : (إيمان بالله وتصديق به وجهاد في سبيله ..) وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : (جاء رجل إلى رسول الله ــ ﷺ ــ فقال : دلني على عمل يعدل الجهاد قال : (لا أجده) ثم قال ــ ﷺ ــ (هل تستطيع إذا خرج المجاهد أن تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر) فقال ومن يستطيع ذلك ؟ فهذا الصحابي السائل كان يعلم فضل الجهاد ولذا قال دلني على عمل يعدل الجهاد ولكنه أراد أن يدله الرسول ــ ﷺ ــ على عمل

يساوي الجهاد ليداوم عليه في غير وقت الجهاد أو أنه إذا عجز عن مباشرة الجهاد الذي علم فضله يأتي بهذا العمل الذي يساوي الجهاد في الفضل ولكن النبي ـــ ﷺ ـــ أجابه بالنفي ثم كرر له ذلك بقوله عليه السلام هل تستطيع إذا خرج .. الحديث .

وهذا على حد قوله ـــ ﷺ ـــ (مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم الذي لا يفتر عن صلاة ولا صيام حتى يرجع) ويقول ـــ ﷺ ـــ (رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها) .

ولا ريب أن أمنية كل مجاهد وأنشودة كل مؤمن صادق الإيمان الشهادة في سبيل الله عز وجل فهو لم يخاطر بنفسه ويقتحم لجج الموت إلا رجاء نشر دين الله تعالى والشهادة في سبيله عز وجل جاعلا نصب عينيه قوله ـــ ﷺ ـــ (واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف) فهو يصول بسيفه ويجول في حومة الوغى ويعلم أنه يتجول في عرصات الجنة أفلا تتوق نفسه بعد ذلك إلى الشهادة في سبيل الله ؟ وهو يعلم ما أعده الله تعالى للشهيد من حسن مال وعاقبة حال وما اختصه الله سبحانه وتعالى به من بين أهل الجنة ومن ذلك ما ورد به هذا

الحديث الشريف من أن جرح الشهيد يأتي يوم القيامة ينزف دما اللّون-لون الدم والريح ريح المسك ليكون شاهدا على فضيلته ببذله نفسه في سبيل الله تعالى وشاهدا على من ظلمه .

وظاهر الحديث أن المجروح في سبيل الله تعالى ينال هذا الفضل سواء مات بتلك الجراحة أو برىء منها ويحتمل أن يكون هذا الفضل خاصا بمن مات بسبب ذلك الجرح قبل اندماله لا ما اندمل في الدنيا فإن أمر الجراحة وسيلان الدم يزول ولا ينفي ذلك أن له فضلا في الجملة قال ابن حجر (الظاهر أن الذي يجيء يوم القيامة وجرحه يثعب دما من فارق الدنيا كذلك) ويؤيده ما لابن حبان عن معاذ (عليه طابع الشهداء) ولأصحاب السنن وصححه الترمذي وابن حبان والحاكم عن معاذ مرفوعا (من جرح في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها الزعفران وريحها المسك) قال : (وعرف بهذه الزيادة أن الصفة المذكورة لا تختص بالشهيد بل تحصل لكل من جرح) .

وفي قوله ــ ﷺ ــ (والله أعلم بمن يكلم في سبيله) إشارة إلى وجوب الإخلاص في الجهاد وصيانة القصد عن الرياء والسمعة فهذا الفضل وهذه الميزة لا تكون إلا لمن قصد بجهاده إعلاء كلمة الله تعالى واعزاز دينه عز وجل بعيدا عن حظوظ النفس العاجلة فقد رُوي أنَّ رجلاً جاء إلى النبي ــ ﷺ ــ

فقال : (الرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله) ؟ قال : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) .

والنبي ـــ ﷺ ـــ مع علو قدره ورفعة منزلته وعظم شأنه وفضيلته على جميع المخلوقات تمنى أن تحصل له الشهادة ـــ ﷺ ـــ ثلاث مرات فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول ـــ ﷺ ـــ : (والذي نفسي بيده لوددت أن أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل) وهو بهذا عليه الصلاة والسلام يبين فضل الشهادة في سبيل الله عز وجل ويحرضهم على القتال مع علمه ـــ ﷺ ـــ أنه لا يقتل .

والنصوص من كتاب الله تعالى وسنة نبيه ـــ ﷺ ـــ على فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله عز وجل أكثر من أن تحصى وأوفر من أن تستقصى ولله در الإمام الشاري إبراهيم بن قيس رحمه الله تعالى حيث قال :

علق الفؤاد بأن أكون أنا الذي ... نشر الهدى بقواضب ورماح
علق الفؤاد بأن أكون أنا الذي ... لحق الشرا ورمى غداة طماح
علق الفؤاد بأن أحاسب في غد ... ومن الدماء تدفق بجراح
فعلى السيوف يموت كل مكرم ... وعلى السيوف قياد كل فلاح
وعلى السيوف ينال من طلب العلا ... غرف الجنان وقصدهن كفاح

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ اختص الله سبحانه وتعالى الشهيد من بين أهل المحشر بخصائص تميزه عن غيره إظهارا لفضله وتشريفا له .

٢ ــ مدار قبول الأعمال الصالحة على إخلاص النية لله تعالى في العمل .

السبعة المكرمون

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك عن النبي ـ ﷺ ـ قال : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) :

ـ إمام عادل .

ـ وشاب نشأ في عبادة الله ـ عز وجل ـ .

ـ ورجل متعلق قلبه بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه .

ـ ورجلان تحابا في الله اجتمعا وتفرقا على ذلك .

ـ ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع من خشية الله .

ـ ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال ، فقال : إني أخاف الله رب العالمين .

ـ ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه .

★ الحديث أخرجه الإمام الربيع بن حبيب ـ رحمه الله ـ برقم [٤٨] وأخرجه أيضا البخاري ومسلم والترمذي ومالك والنسائي .

المعنى اللغوي :

ـ **سبعة يظلهم الله في ظله** : سبعة أصناف من الناس

يخصهم الله برحمته يوم القيامة . والظل في هذا الحديث كناية عن رحمة الله وعطفه ومغفرته .

ـ **إمام عادل** : إمام القوم هو المقدّم عليهم وهو رئيسهم وهو المقتدى به . والإمام العادل : هو الذي لا يميل به الهوىٰ فيجور في الحكم وهو الذي يحكم بالحق ويلتزم في حكمه ورعايته الناس بشرع الله ، وهو الذي يخاف الله في سياسته وتدبيره أمور الناس .

ـ **شاب نشأ في عبادة الله** : الشاب من كان في مرحلة وسط بين الطفولة والكهولة نشأ : تربىٰ ونما (في عبادة الله) : في طاعة الله والالتزام بأوامره ونواهيه .

ـ **رجل متعلق قلبه بالمسجد** : في التعبير تشبيه قلب الرجل بقنديل يتدلى من سقف المسجد وهو إشارة إلى طول الملازمة بقلبه وإن كان جسده خارجا عنه . فهو شديد المحبة للمسجد وما فيه من فضل .

ـ **رجلان تحابا في الله** : (تحابا) : أصله تحاببا أي اشتركا في جنس المحبة وتبادلاها ، فأحب كل منهما الآخر حقيقةً لا إظهاراً فقط .

ـ **اجتمعا وتفرقا على ذلك** : أي على ذلك الحب الصادق الخالص ، فداما على المحبة الدينية و لم يقطعاها بعارض دنيوي ، سواء اجتمعا حقيقة أم لا .حتى فرّق الموت بينهما .

ـ **رجل ذكر الله خاليا** : تذكر واستشعر عقابه ووعيده أو حقه العظيم الموجب للخشية والحياء منه . (خاليا) أي في خلوة ، بعيداً عن الناس ، وهو كناية عن إخلاص الإنابة إلى الله والبعد عن الرياء ، حتى انسكب دمعه ولم يقدر على حبسه من فرط ما يجده .

ـ **رجل دعته امرأة ذات حسن وجمال** : (دعته) طلبته للمتعة الحرام وعرضت نفسها عليه لتلك الفاحشة العظيمة ، (ذات حسن وجمال) : هما بشيء واحد هو : البهاء والملاحة . ففي الحديث : (ثم عرضت له امرأة حسناء جملاء) . فقال : (إني أخاف الله) قال ذلك بلسانه أي : رد طلبها تعففا وخوفا من عقاب الله فقدم رضاء الله ـ رب العالمين ـ على إغراء هذه المرأة .

ـ **رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما أنفقته يمينه** : (تصدق) : أنفق على الفقراء ابتغاء مرضاة الله ، (أخفاها) : أسر بها ولم يظهرها ولم يعلم بها غير الله . (حتى لا تعلم شماله ..) : كناية على الإسرار بالصدقة وبعداً عن المراءاة وتعبيراً عن إخلاص النية فيما يفعل .

التحليـــل :

الانتصار على هوى النفس وكيد الشيطان مهمة عسيرة وهو الهدف الأسمى الذي يسعى إلى تحقيقه كل مسلم ، في هذه

الحياة الزاخرة بصنوف الفتن ، ومن هنا جاء تبشير الرسول الكريم لنا من خلال هذا الحديث بأعظم بشرى نتوق إليها جميعا ألا وهي محبة الله ورحمته وعطفه .

ومن خلال أسلوب التشويق والترغيب ، يَعِدُ الرسول ـــ ﷺ ـــ أصنافا سبعة من الناس بالراحة والأمن والانشراح ، عند الموقف العظيم يوم القيامة حين :

﴿وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ (الحج ٢)

وهذه الأصناف السبعة ما هي إلا أمثلة ونماذج للإنسان الذي يمر به وضع خاص أو حالة من الحالات التي يصعب عليه تجاوزها بسلام ، ولكنه يلتزم فيها بأمر الله ـــ عز وجل ـــ فلا يسقط في حبائل الشيطان الذي لا يقدر عليه إلا صاحب العقيدة الراسخة والإيمان العميق المستنير .

ومما لا شك فيه أن النبي ـــ ﷺ ـــ لا يقصد بالسبعة حقيقة العدد وإنما التمثيل . فقد أشار في مواضع عدة إلى نماذج أخرى من الناس ، أعد لهم ربهم هذا النعيم منها قوله عليه السلام : (من أنظر معسراً أو وضع له ، أظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله) .

★ وهذه الأصناف السبعة هي :

أولا ـــ الإمام العادل :

افتتح الرسول الكريم قائمة الصالحين الموعودين برحمة الله عز وجل بالإمام العادل صاحب الولاية العظمى الذي جاءته السلطة من طريق مشروع فلم يفرض على الأمة فرضا ، بل اختارته حرة غير مكرهة ، وبايعته عن رضاً وقناعة ليحكم فيها بشرع الله . إن الإمامة العظمى العادلة أساس العمران والحضارة والمدنية وهي وحدها الكفيلة بإقامة المجتمع الرباني الذي يسعى الإسلام إلى تحقيقه ، فتطبق فيه قيمه ومبادؤه وبها ينتشر الأمن بعد الخوف ، والعدل بعد الجور .

إن السلطة مهما كان مستواها ، ليست بالأمر الهين ، إنها أمانة وعهد بها يحي الدين وينتشر وبها يموت أيضا ، وهي امتحان صعب لا ينجح فيه إلا من يوفقه الله ـــ عز وجل ـــ لذلك .

وفي القرآن الكريم نماذج شتى لمن أوتو الحكم فلم يعطوه حقه ، واغتروا به فكانوا من الخاسرين ؛ وإلى جانبهم أمثلة للحاكم والمسؤول العادل الذي جعل السلطة تكليفا لا تشريفا ، فرعاها حق رعايتها ، وقدرها حق قدرها واستخدمها ـــ رغم إغراءاتها ـــ في خير الإنسان دنيا وآخرة ، مستحضراً قول النبي ـــ ﷺ ـــ فيما رواه النسائي وابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال : قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ : (أربعة يبغضهم الله يوم القيامة .. وذكر منهم

الإمام الجائر) .. وروى الترمذي والطبراني عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (أحب الناس إلى الله يوم القيامة إمام عادل وأبغض الناس إلى الله إمام جائر) . وفي الحديث الذي رواه مسلم والنسائي عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (إن المقسطين عند الله تعالى على منابر من نور ... الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وماولوا) .

إن هذا الموجز عن الإمام العادل يجعلنا ندرك السبب في جعله على رأس قائمة من يظله الله في ظله في ذلك اليوم العصيب .

ثانيا ــ الشاب الذي نشأ في عبادة الله :

خص الرسول ــ ﷺ ــ الشاب بالذكر على وجه التغليب ، وإلاّ فإن البنت الشابة مقصودة مثله بكلام النبي ــ ﷺ ــ فالشباب هو المرحلة الصعبة من حياة الفرد ، فهي فترة المراهقة ، بما فيها من ثورة الغرائز ، وتحرك الشهوات والجري وراء اللذة الفانية والاندفاع وراء مغريات الحياة وزينتها .

لقد أقرت واقعية الإسلام بأن عاطفة الشاب والشابة قد تنساق بهما وراء إغراءات الشيطان الذي يسهل عليه أن يستحوذ عليهما ويقنصهما بأساليبه ومكره . فلا يقف في

وجهه إلا شاب نشأ في عبادة ربه وتحصن بالتربية الدينية فاكتسب عقيدة صافية ، وإرادة قوية أساسها الثقة في الله تعالى ونصره ـــ واصغ ـــ أخي الكريم ـــ بمسمعك معي لتستمع إلى أبي حمزة الشاري رضي الله عنه وهو يصف أصحابه الشباب ليكونوا قدوة لك يقول ـــ رحمه الله ـــ في وصفهم (.. شباب والله مكتهلون في شبابهم غضيضة عن الشر أعينهم ، بطيئة عن الباطل أرجلهم ، أنضاء عبادة ، وأطلاح سهر ، قد نظر الله إليهم في جوف الليل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن إذا مر أحدهم بآية فيها ذكر الجنة بَكى شوقا إليها وإذا مر بآية فيها ذكر النار شهق شهقة كأن زفير جهنم في أذنيه ..) .

ثالثا ـــ رجل متعلق قلبه بالمسجد :

هذا هو الصنف الثالث من المكرمين : رجل لا يجد راحته إلا في بيوت الله ، يقيم فيها صلاته ويذكر ربه ، فإذا خرج من المسجد يظل في شوق إليه لا يتأخر عن الجماعة ولا يتقاعس عن حضور حلقات الذكر والعلم ، يدرس فيه كتاب الله ويخلو فيه إلى نفسه يحاسبها عمّا فرطت في جنب الله عز وجل .

عزف هذا الرجل عمّا عليه الناس من إضاعة للوقت في أماكن اللهو ، ووسائل الترف التي ليس لها حدود تقف عندها ، إنه الرجل الذي قدم ما هو باق على ما هو فان ،

يعيش في المسجد بقلبه وجوارحه ويعيش خارجه بروحه وأخلاقه وتوجيهاته ، فالمسجد عنده أكثر من أن يكون مكانا لأداء فريضة الجماعة فقط ، وإنما هو مرشد وموجه ، يسعى ليجعل من بيئته الكبيرة مسجداً يعيش فيه الناس على مبادىء الإسلام الحنيف ، إنه لنعم الرجل المبشر بأمانٍ من الروع يوم الفزع الأكبر حين يفزع اللاهون المبتعدون عن بيوت الله .

رابعا ــ التحابب في الله :

تختلف موازين الإسلام للأمور عن موازين غيره ، فإذا كان شأن أكثر الناس أن يقيموا علاقاتهم على أساس المصلحة الدنيوية بل ويتبادلون المحبة فيما بينهم على هذا فإن الرسول الكريم ــ يدعو إلى التحابب في الله ، ويرفض المقاييس المادية الجامدة ، للمشاعر الإنسانية ، فيقيم العلاقات بين الأفراد على ما هو أدوم لها ، ويجعلها في سبيل مرضاة الله تعالى والرغبة فيما عنده .

إن الحب في الله بين المسلمين فريضة من الله لا تقل أهمية عن الصلاة والزكاة والجهاد .. فإن ذلك أبقى وأمتن لبناء المجتمع الرباني الذي يؤلف أفراده أسرة واحدة تربط بين عناصرها مشاعر الود والحب والإخلاص وتزول عنهم كل مظاهر التعصب والحقد والكراهية قال تعالى :

﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ (التوبة ــ ٧١)

إن التحابب في الله شعبة من شعب الإيمان فعن أبي أمامه ـــ رضي الله عنه ـــ عن النبي ـــ ﷺ ـــ : (من أحب لله وأبغض لله ، وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان) أخرجه أبو داود والترمذي وأحمد .

ولهذا كله نوّه الرسول الكريم بهذه الخصلة فقال : (المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء) وكما يجب على المسلم أن يحب أخاه المسلم في الله فإنه يجب عليه أن يبغضه في الله إذا رآه يرتكب معصية من معاصي الله عز وجل حتى يتوب إلى الله ويرجع إلى الطريق المستقيم .

ومن كان هذا ديدنه ، فحري به تعالى أن يظله يوم القيامة ويسأل عنه .

أخرج الإمام الربيع بن حبيب ـــ رحمه الله ـــ من طريق أبي هريرة عن النبي ـــ ﷺ ـــ قوله : (يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة أين المتحابون لأجلي ، اليوم أظلهم في ظلي ، يوم لا ظل إلا ظلي) .

خامسا ـــ رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع :

الصنف الخامس من المكرمين يوم القيامة رجل اعتزل الناس ليفكر في أمره وفيما قدمت يداه فاستشعر عظمة الله تعالى ، وتذكر حقه عليه من الطاعة والعبادة ، وحاسب نفسه فوجدها مقصرة في جنب الله ، منكرة لجميله إزاء نعمه ، زاهدة فيما

عنده ، ومقبلة على الدنيا الفانية فبكى على ذلك تعبيراً عن معاني الخوف والتوبة والرجاء .

إن (الذكر) الذي عناه رسول الله الكريم أكثر من مجرد النطق بالألفاظ التي ورد الترغيب في قولها (كالباقيات الصالحات) ونحوها . وهي أكثر من المواظبة على العمل بما أوجبه أو ندب إليه كتلاوة القرآن ومدارسة العلم والتنفل بالصلاة .

إن الذكر المقصود هو ما كان باللسان نابعا من القلب مع استحضار معاني ما يذكر من تعظيم الله ونفي النقائص عنه ــ قال الله ــ عز وجل ــ :

﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران ــ ١٩١) .

سادسا ــ رجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال : (إني أخاف الله) :

فتنة عظيمة وامتحان عسير أن تبادر المرأة فتراود الرجل عن نفسه وتدعوه إلى اللذة الحرام ؛ هذه المرأة التي طالما سجد عند أقدامها أقوى الرجال إرادة وعزيمة إن الشيطان ليزين صنيع الغواني ، ويأتي الرجال من قبلهنَّ ، ويسهل عليه غوايتهم لتيقنه أن الرجل خلق ميالا إليهن لحكمة أرادها الله عز وجل .

إن رجلا يجد نفسه وجها لوجه مع امرأة فاتنة وفي ريعان

شبابها أوتيت حسنا وجمالا وحسبا ونسبا وجمعت كل دواعي الغواية والإغراء ، ولا أحد من الناس يرقبه حتى يخاف الفضيحة في الدنيا ، إنها لحظات امتحان عسير قد يعيشها أي إنسان ، كما عاشها سيدنا يوسف ـــ عليه السلام ـــ فاستعصم :

و﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ (يوسف ـــ ٣٣) .

لا أحد يستطيع أن يخرج من هذه الفتنة سليما ولا يقدر أن يقاوم ضغوط الشيطان إلاّ صاحب العقيدة القوية المرتبط بالله ارتباطا وثيقا ، ارتباط خوف وزجاء ؛ فالإيمان العميق بالله والرغبة فيما عنده من خير هو الذي يجعله مترفعا عن الآثام ، مقاوما للمغريات ، مؤمنا بأن الله معه حيثما كان ، لا تخفى عليه خافية فإنه يعلم السر وأخفى .

إن ما قيل عن الرجل إزاء المرأة إنما هو على سبيل التغليب إلا أن ذلك لا يمنع أن يغري الرجل المرأة الطاهرة العفيفة ويوقع بها فتمر بنفس الامتحان فتستعصم وتقول : (إني أخاف الله) فتكرم برحمته تعالى ، وتستظل بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله .

سابعا ـــ المنفق ماله في السر :

﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (الكهف ٤٦)

وإنفاق المال فيما يرضي الله عز وجل أمر صعب على بعض النفوس ومن هنا جعله النبي ـــ ﷺ ـــ في قائمة عباد الله

المكرمين . ولما كان الإنسان مفطوراً على حب المال بين سبحانه وتعالى أنه فتنة فقال عز من قائل :

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ﴾ (الأنفال ٢٨)

يدخل الشيطان من باب المال والثروة إلى قلب الإنسان فيخيفه من الفقر ويصوّر له الإنفاق بابا من أبواب الإفلاس وضياع الثروة ، ويحجب عنه الثقة بالله تعالى وأن الرزق من عنده يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . كل هذه المعاني تغيب عن الإنسان حينما يطغى عليه حب الدنيا ويضعف إيمانه بما عند الله تعالى .

إنه ليندر وجود من يستطيع التصدي لوسوسة الشيطان وإغرائه فيخرج جزءاً من ماله لمن يستحقه من الفقراء والمحتاجين ، دون أن يعلم به أحد من الناس ويقدمه طيبة به نفسه لا يرتجي ممن أخذ جزاءً ولا شكورا إلا رضوان الله عز وجل ، ويشعر بأن ما أنفقه لا يمثل شيئا إزاء نعم الله وبأن ما يفعله ليس منة وتفضلا وإنما هو أداء لواجب ديني واجتماعي يثمر عند الله أجراً عظيما ؛ شريطة ألا يصحبه رياء أو سمعة أو إذاية للمنفق عليه فيشعر بالدون إزاء من أنفق عليه . ويقرر القرآن الكريم هذا في قول الله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ ﴾ (البقرة ــ ٢٦٤)

إن الإنفاق المعتبر في الإسلام إنما هو الذي يصدق عليه قول الحق تبارك وتعالى :

﴿إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

(البقرة ــ ٢٧١)

إن الإسراز في الإنفاق عنوان الإخلاص ، والتجرد من حب الظهور والسمعة إذ هما يحبطان العمل ويمنعان الأجر .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ شاءت إرادة الله أن يجعل الإنسان مبتلى في جميع أحواله .

٢ ــ صور الابتلاء متعددة ومتفاوتة المراتب بحسب أثرها على الفرد والجماعة .

٣ ــ على المسلم أن يكون منتبها لإغراءات الشيطان مستعداً لمقاومته .

٤ ــ يكمن سر التغلب على الشيطان في الإيمان العميق بالله والثقة المطلقة في توفيقه .

٥ ــ الإمامة والسلطة مسؤولية عظيمة يجب أن تؤدى بأمانه .

٦ ــ الشباب مرحلة مهمة في حياتنا يجب أن نقضيها في طاعة الله تعالى .

٧ ــ إنما المؤمنون إخوة متحابون لوجه الله عز وجل .

٨ ــ الكيّس هو الذي اختار ما عند الله على ما يفنى من متع الحياة وزينتها .

٩ ــ رحمة الله ــ تعالى ــ لعباده لا تنال إلا بالأعمال الصالحة .

١٠ ــ الجزاء من جنس العمل ، وبقدر الابتلاء والصبر عليه .

في كل كبد رطبة أجر

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة عن النبي ـ ﷺ ـ قال : (بينما رجل يمشي في الطريق فاشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب وخرج فإذا بكلب يلهث ويأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي بلغني فنزل البئر فملأ خفه بالماء فأمسكه بفيه فطلع فسقى الكلب ، فشكر الله ذلك وغفر له) فقالوا يارسول الله : ان لنا في البهائم لأجرا ، فقال : (في كل كبد رطبة أجر) .

الحديث : أخرجه الإمام الربيع رحمه الله برقم [٧٢٨] وأخرجه أيضا البخاري ومسلم وأبو داوود ومالك في الموطأ وأحمد .

المعنى اللغوى :

يلهث : يرتفع نفسه بين أضلاعه من الإعياء والعطش ، وقال ابن التين لهث الكلب إذا أخرج لسانه من العطش وكذلك الطائر .

يأكل الثرى : بفتح الثاء والقصر تراب ندي ، ويأكل : يكدم الأرض بفمه .

الخف : واحد الخفاف التي تلبس في الرجل .

فشكر الله له ذلك : أي أثنى عليه بسبب ذلك أو قبل عمله ذلك .

غفر له : ستر عليه سائر ذنوبه .

إن لنا في البهائم لأجرا : أي في سقي البهائم أو في الإحسان إليها .

في كل كبد رطبة أجر : أي في كل كبد حي أجر وهل هو عام في جميع الحيوانات أو خاص ببعضها سيأتي بيانه .

والكبد : يذكر ويُؤنث ويجوز فيها ثلاثة أوجه :

فتح الكاف وكسر الباء ــ كَبِد ــ وفتح الكاف وسكون الباء للتخفيف ــ كَبْد ــ وكسر الكاف وسكون الباء ــ كِبْد ــ .

التحليل :

يحكي لنا النبي ــ ﷺ ــ قصة وقعت لرجل حيث كان هذا الرجل يمشي في فلاة فاشتد به العطش فوجد بئرا فنزل فيها ليشرب منها ثم خرج ، وهذا يدلنا على أن هذا الماء الذي في البئر لم يكن على حافتها بحيث ينال ماؤها بالاغتراف منه باليد وليس عليها حبل ولا دلو ليتمكن من نيل مائها بسهولة ويسر .

وعند خروجه من البئر فوجيء بكلب يلهث من شدة العطش ويكدم التراب النّديّ الذي حول البئر لعله يجد فيه

رطوبة تُطفِئُ شدة ظمئه فما كان من هذا الرجل وهو يشاهد هذا المنظر الذي يستدر العطف والرحمة إلا أن بادر بالنزول إلى البئر مرة أخرى متجشما المصاعب والتعب الذي مر به أثناء نزوله الأول ولما لم يجد وعاء يحمل فيه الماء نزع خفه وملأه بالماء وأمسكه بأسنانه ليستعين بيديه على العمل من أجل الصعود من البئر ثم سقى الكلب بالماء الذي أتى به في الخف .

إن هذا العمل تتجلى فيه الرحمة والشفقة والتضحية من هذا الرجل . فالنزول إلى البئر والصعود منه بدون سلم ولا حبل محفوف بالمخاطر ويحتاج إلى جهد كبير وهذا واضح من فعل هذا الرجل فإمساك الخف بالفم يبين الجهد الذي بذله مما استدعاه على أن يستعين بكلتا يديه .

ثم إن تحمل كل هذا التعب من أجل كلب ضال في صحراء منقطع عن الناس يدلنا على سمو نفس هذا الرجل ونبل مقصده وسلامة نيته من الرياء وحب الثناء والشهرة فهو في مكان مهجور بعيد عن أعين الناس فلا يراه أحد غير خالقه عز وجل .

لذا استحق هذا الثواب العظيم من الله تعالى (فشكر الله ذلك وغفر له) .

لقد استغرب بعض المستمعين لهذه القصة من أن يكون للإنسان أجر على ما يسديه من إحسان حتى على البهائم فسأل

بقوله (إن لنا في البهائم لأجرا) فأجابه النبي صلوات الله وسلامه عليه بقوله (في كل كبد رطبة أجر) .

والظاهر من سياق الحديث أنه ما من حيوان إلا وفي الإحسان إليه أجر وقد اختلف العلماء في قوله ـــ ﷺ ـــ (في كل كبد رطبة أجر) هل هو عام في جميع الحيوانات أو أنه خاص بالحيوانات المحترمة غير المؤذية وغير التي أمر الإسلام بقتلها إلى قولين :

القول الأول : أن هذا العموم مخصوص بالحيوانات المحترمة التي لم يأمر الإسلام بقتلها ولا هي مؤذية ، وأما الحيوانات المأمور بقتلها كالخنزير والكلب إن لم يكن كلب زرع أو ضرع أو صيد فلا يتناوله هذا الحديث .

وممن قال بهذا أبو عبد الملك حيث قال (هذا الحديث في بني إسرائيل أما الإسلام فقد أمر بقتل الكلاب وأما قوله في كل كبد رطبة أجر فمخصوص ببعض البهائم مما لا ضرر فيه لأن المأمور بقتله كالخنزير لا يجوز أن يقوى ليزداد ضرره) .

وهذا القول ذهب إليه أيضا النووي في شرحه على صحيح مسلم إذ قال (إن عمومه مخصوص بالحيوان المحترم وهو ما لم يؤمر بقتله فيحصل الثواب بسقيه ويلتحق به إطعامه وغير ذلك من وجوه الإحسان إليه) .

القول الثاني : إن هذا عام في جميع الحيوانات وبهذا قال

الداوودي وابن التين والعيني والشيخ عبد الله بن حميد السالمي رحمه الله وهو الظاهر فإن دعوى الخصوص لم يقم عليها دليل وسياق الحديث يبعدها . قال الإمام السالمي رحمه الله : (إخراج الكلب من عموم الحديث لا يناسب السياق فإنه وإن كانت القصة في بني إسرائيل فقوله في كل كبد رطبة أجر) خطاب موجه إلى الصحابة حين سألوه عن حكم ذلك وما سألوه إلا بعد استبعاد ما استبعده القائلون بالتخصيص ..) .

ودعوى أن هذه القصة كانت في بني إسرائيل لا دليل عليها فما المانع أن تكون وقعت لأحد أفراد هذه الأمة فعلم بذلك النبي ﷺ ؟ .

والأمر بقتل بعض الحيوانات المؤذيات لا يمنع من الإحسان إليها فإن من مظاهر الرحمة التي دعا إليها الإسلام بالنسبة للحيوان المأمور بقتله والمؤذي أن نقتله قتلا حسنا وأن لا تتخذ طرق التعذيب وسيلة للقتل كالحرق وما شابه ذلك إلا إن تعذرت الوسائل الأخرى . فقد نهى ـــ ﷺ ـــ أن تصبر الحيوانات أي أن تجعل غرضا لرمي السهام . ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس رضي الله قال : نهى النبي ـــ ﷺ ـــ أن تصبر البهائم والإسلام أمرنا بالإحسان إلى كل شيء فقال ـــ ﷺ ـــ : (إن الله كتب الإحسان على كل شيء . فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة . وإذ ذبحتم فأحسنوا

الذبحة . وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته) .

وكما حث الإسلام على الإحسان إلى البهائم وجعله سببا من أسباب المغفرة جعل تعذيب الحيوان سببا لسخط الله تعالى وغضبه ودخول النار ، والعياذ بالله منها ، ففي الحديث الذي رواه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (عذبت امرأة فى هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار لا هي أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض) .

إن هذا الفعل الذي صدر من هذه المرأة يدل على مدى قسوة قلبها وانعدام الرحمة والشفقة منها فعاقبها الله تعالى بأن أدخلها النار . وإذا كان المولى عز وجل عاقب هذه المرأة بهذا العذاب الأليم المؤبد من أجل هرة فما بالك بمن يعذب أخاه المسلم أو يؤذيه أو يحتجز حريته بغير موجب لذلك إلا لأنه تمسك بدينه

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝٨﴾ (البروج ٨)

ومن الأمور التي حرمها الإسلام التحريش بين البهائم وهو إغراء بعضها ببعض كما في الثيران والكباش والديكة .. فعن النبي ــ ﷺ ــ أنه نهى عن التحريش بين البهائم . وإن مما يورث الإنسان الحسرة والأسف حقا أن تنتشر في أوساط مجتمعاتنا مثل هذه العادات القذرة التي تدل على انحطاط عقول

فاعليها وسخافة تفكيرهم وانعدام الرحمة من قلوبهم وبعدهم عن تعاليم دينهم الحنيف وهو من اللهو الذي حرمه الإسلام لما فيه من إيلام للحيوان ولما فيه من إضاعة للوقت والمال اللذين يسأل عنهما العبد يوم القيامة .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ الحث على الإحسان إلى الناس لأنه إذا حصلت المغفرة بسبب الإحسان إلى الحيوان فالإحسان إلى الناس أعظم أجـرا .

٢ ــ سقي الماء من أعظم القربات ، لذا قال بعض التابعين من كثرت ذنوبه فعليه بسقي الماء .

٣ ــ جواز حفر الآبار في الصحراء إذا لم تتحقق منه مضرة .

٤ ــ جواز السفر منفردا ومحل ذلك إذا لم يخف على نفسه الهلاك .

ذنوب العبد صنفان

أبو عبيدة قال : سمعت ناساً من الصحابة يروون عن النبي ـ ﷺ ـ قال : (الذنوب على وجهين : ذنب بين العبد وربه ، وذنب بين العبد وصاحبه ، فالذنب الذي بين العبد وربه ، إذا تاب منه كان كمن لا ذنب له ، وأما ذنب بينه وبين صاحبه فلا توبة له حتى يرد المظالم إلى أهلها) .

أخرج الحديث الإمام الربيع بن حبيب ـ رحمه الله ـ برقم [٦٩١] وهو مما تفرد به الإمام الربيع بهذا اللفظ ، لكن أخرج له الطيالسي والبزار شاهداً من حديث أنس .

المعنى اللغوي :

المظالم : جمع مظلمة وهي ما أخذه الظالم غصباً .

التحليل :

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم وأكمل خلقه ، وسخر له ما في السماوات والأرض وكرمه على كثير من المخلوقات بما آتاه الله من العقل وغيره ورزقه من الطيبات . وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة . وإن من العجيب أن يبارز هذا العبد الضعيف مولاه بالتمرد والعصيان والخروج عن

طاعته ، ويقابل كل ما آتاه الله من النعم بكفر تلك النعم وعدم شكره تعالى عليها ، واستخدامها في غير ما خلقت له . ولكن الأعجب من ذلك أن يصر هذا العاصي على مساوئه وذنوبه ولا يتوب ويرجع إلى ربه ، فيبادر بالتوبة قبل فوات الفرصة وانقضاء الأجل .

وقد دعا الله تعالى عباده إلى المسارعة والمبادرة إلى المغفرة فقال سبحانه : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ ﴾ (آل عمران

وعن أنس عن النبي ـــ ﷺ ـــ قال : (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون) رواه الترمذي وابن ماجه والحاكم .

وإن من سعادة المرء أن يجيب دعوة ربه إياه بالإنابة إليه والإقلاع عما ارتكبه ويتوب عن المعاصي ، فعن جابر رضي الله عنه عن النبي ـــ ﷺ ـــ قال : (من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الإنابة) رواه الحاكم .

ويجب على المسلم أن يحسن الظن بالله تعالى ، ولا ييأس

من رحمته مهما بلغت الذنوب ، قال الله عز وجل :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ (سورة الزمر — ٥٣)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله — ﷺ — وقال : (لو أخطأتم حتى تبلغ السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم) رواه ابن ماجه .

كيف تتحقق التوبة ؟

في هذا الحديث الشريف تأكيد على أن التوبة تمحق الذنوب وتكفر السيئات ، وأن التائب من الذنب ، المتخلص من تبعاته وكل ما عليه ، مرجو المغفرة من الله تعالى . كما فيه اشتراط التوبة لحصول المغفرة ، فمن لم يتب فلا يغفر الله له ، لقوله تعالى :

﴿ وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ (الفرقان)

فأنت ترى أن من فعل معصية كالإشراك بالله وقتل النفس والزنا فهو خالد في نار جهنم لا يغفر له إلا إذا تاب ، وقال سبحانه

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾

والذنوب قسمان كما في هذا الحديث ، ولكل قسم منهما شروط لتتحقَّق التوبة منها :

الأول : (ذنب بين العبد وربه) ، وهو التضييع في حقوق الله من الصلاة والصيام وأشباهها من العبادات ، وفعل المحرمات كشرب الخمر والتدخين وأكل الميتة ولحم الخنزير ، وأمثال ذلك من الذنوب التي لا يتعلق بها حق المخلوقين . فمن تاب من كل ذلك غفر الله له ذنبه ، وخرج منه نقيا ، كما قال ـــ ﷺ ـــ (كمن لا ذنب له) أي مثل الذي لم يذنب قط ، والمعنى أنه يخرج من ذنوبه وتستر له فلا يسأل عنها كأنه لم يعملها .

إلا أن التوبة هنا لا تعني مجرد ترك المعصية ، بل لابد من أن ينضم إلى ذلك أمور ، فيلزم التائب من الذنوب ما يأتي :

١ ـــ الندم على المعصية والاستغفار من الذنب لقوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ (آل عمران ـــ ١٣٥)

٢ ــ الإقلاع عن المعصية وعدم العودة إليها ، لقوله سبحانه :

﴿ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا ﴾ (آل عمران)

لأن الاستمرار على المعصية ينافي التوبة .

٣ ــ عقد العزم على عدم العودة إليها ، لأن لكل امرىء ما نوى .

فإذا تحققت في التائب هذه الشروط كانت التوبة نصوحاً خالصة مقبولة ، قال عز وجل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا . . . ﴾

(التحريم ــ ٨)

الثاني : (ذنب بينه وبين صاحبه) أي صاحبه من المخلوقين والذنوب التي بين العباد هي مثل أكل أموال الناس بالباطل كالغصب والنهب والسرقة وقتل النفس ، وأمثال ذلك مما يمس حقوق الناس ، فلابد للتوبة من هذه المعاصي رد ما أخذ إلى أصحابه ، وإلا لم تتحقق التوبة لقوله عليه السلام : (وأما ذنب بينه وبين صاحبه فلا توبة له حتى يرد المظالم إلى أهلها) . وقد قال العلماء : إن لم يجد التائب صاحب الحق دفعه إلى ورثته وإن لم يجد فإلى الفقراء ، اللهم إلا إذا لم يتيسر له ذلك وهو نادم تائب عاقد عزمه على

إرجاع الحقوق إن سهل الله عليه . وما كل هذا إلا لأجل المحافظة على كرامة الإنسان وحقوقه ، فلا يتجاسر أحد على ظلمه والنيل منه .

هذا وينبغي أن يعلم كل أحد أنه ــ كما أن الحسنات يذهبن السيئات ــ فإن الحسنات لا تقبل مع وجود السيئات وعدم التوبة منها لقوله تعالى :

﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة ــ ٢٧)

فمن لم يكن متقيا فلا ثواب له وتبقى عليه أوزاره وآثامه وخطاياه ، إلا بالتوبة النصوح التي تخلصه من ذنوبه إلى رحمة الله سبحانه وتعالى .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ الذنوب تكون بين العباد أنفسهم كما تكون بين العبد وبين ربه .

٢ ــ عظَّم الله تعالى الخطأ في حق العباد .

٣ ــ التوبة من الذنب الذي بين العباد إرجاع حقوقهم إليهم .

٤ ــ لابد لمغفرة الذنب من التوبة بشروطها .

٥ ــ التوبة ملازمة للمؤمن الذي مصيره إلى الجنة .

في لعن الخمر وأصحابها

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (لعن الله الخمر وبائعها ومشتريها وعاصرها وحاملها والمحمولة إليه وشاربها) .

أخرجه الإمام الربيع بن حبيب ــ رحمه الله ــ برقم [٦٢٥] وأخرجه أيضا الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد وابن حبان والحاكم .

التحليل :

نهى الله تعالى عن كل ضار خبيث ، وكل ما يؤدي إلى هلاك الإنسان ، قال سبحانه وتعالى :

﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ (البقرة ــ ١٩٥)

وقال عز وجل في وصف النبي عليه الصلاة والسلام :

﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴾

(الأعراف ــ ١٥٧)

ولا ريب أن الله تعالى إنما يحرم ما في تركه مصلحة للإنسان نفسه وفي فعله مضرة له ، لأنه تعالى غني عن مخلوقاته ، وهم إليه فقراء .

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴾ (الذاريات ٥٦ ــ ٥٧)

﴿ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ﴾ (محمد ــ ٣٨)

وسواء عرفت الحكمة من التحريم أو خفيت ، فإنه تعالى عليم بما خلق ، خبير بما فيه

﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك ــ ١٤)

وسواء ظهرت مضرة الشيء المحرم أو خفيت ، فإن الضرر متحقق وجوده لا محالة . وما الأمراض المنتشرة والأوجاع التي فشت إلا نتائج لارتكاب المحرمات وأكل الخبائث .

فهذا الدخان ، مضرته غير خافية على أحد ، بل لا يسلم من مضرته أحد من المدخنين ، وما الميتة والدم والخنزير بالطيبات التي يلذ أكلها ، فضلاً عن الأسقام الناتجة عنها .

وما يزال الطب والعلم يكشفان لنا عن أضرار كثير مما نهى الإسلام عنه وحرمه . ولا أدل على ذلك من ظهور مرض فقد المناعة (الإيدز) الطاعون المرعب الذي اجتاح كثيراً من البلدان التي تنتشر في أوساطها الرذيلة وتتمرغ في مجتمعاتها عقول الرجال في أوحال الزنا . والله العليم بما يكشفه لنا القدر فيما نستقبل من الزمان إن لم تتدارك البشرية أخطاءها وتنقذ أنفسها من الفواحش والمنكرات .

أما الخمر فشأنها شأن غيرها من المحرمات ، بل شأنها أعظم خطراً ، لأنها أم الخبائث ، وماذا يبقى من عقل الإنسان يحجزه عن سائر الفواحش إن شرب الخمر وفقد عقله ؟ لذا قال الله تعالى :

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ (المائدة ـــ ٩١)

فهي سبب للعداوة والبغضاء وترك الصلاة والزنا وعقوق الوالدين وخراب البيوت وتشتيت الأسر وسوء الخلق وضياع المروءات والحوادث المفزعة المؤدية إلى الموت وغير ذلك .[1]

وهي سبب لكثير من الأمراض ، من أخطرها الجنون والسرطان ، لهذا كله ، ولمنع كل هذه المصائب ، حرم الله سبحانه وتعالى الخمر تحريماً جازماً بقوله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ (المائدة)

وبما أن الإسلام يسعى إلى استئصال الشر من جذوره فلا تقوم له قائمة ، فقد حرّم كل عمل من شأنه أن يشارك في وجود الخمر ، وقطع كل يد تمتد لتعين على هذا الشر وهذا البلاء ، فقال عليه الصلاة والسلام :

(لعن الله الخمر) ذلك أنها سبب للعنة والطرد من رحمة الله . والخمر حرام بأنواعها سواء كان هذا اسمها ، أو سمّاها صانعوها بأسماء أخرى . وإن من سخافة عقول كثير من الناس

---

(١) لذلك قال عليه السلام : (اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر) رواه الحاكم .

أن يسمُّو الخمر بغير اسمها يخدعون بذلك أنفسهم ويلوثون عقولهم ، قال عليه الصلاة والسلام : (ليستحلن آخر أمتي الخمر بأسماءٍ يسمونها بها) رواه الإمام الربيع وابن ماجه وابن حبان .

(وبائعها) فإنه مشارك في هذه المعصية ، قال عليه السلام : (إن الذي حرم شربها حرم بيعها) رواه الربيع ومالك ومسلم وأحمد والنسائي .

(ومشتريها) سواء شربها أو أعطاها لغيره كي يشربها .

(وعاصرها) وهو الذي يعصر الخمر ويستخرجها من العنب وغيره ، ويشمل كل من صنع الخمر بأي وسيلة وبأية مادة كانت .

(وحاملها) وهو من ينقلها من موضع إلى آخر ، لأنه ساعٍ فيها وفي محاربة الله عز وجل .

(والمحمولة إليه) ليشربها أو ليبيعها أو لأي سبب آخر .

(وشاربها) وهو نهاية مطاف الخمر ، وتصب اللعنة عليه حين يصب الخمر في فمه . وفي رواية بزيادة (وآكل ثمنها) وفي أخرى بزيادة (وساقيها) .

فمن شرب الخمر ملعون مطرود من رحمة الله ، وكل الذين شاركوا في وصول الخمر إليه ملعونون مطرودون من رحمة الله وجنته ، واقعون في غضبه وناره مخلدين فيها والعياذ بالله .

فقد قال عليه الصلاة والسلام : (من شرب الخمر في الدنيا ثم لم يتب منها حرمها في الآخرة) رواه الربيع والجماعة إلا ابن ماجه . وهل تظن أنه يدخل الجنة ولا يشرب فيها الخمر ، وقد أخبر سبحانه أن في الجنة خمراً في قوله سبحانه :

﴿وَأَنْهَرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ (محمد ــ ١٥)

والجنة لا حرمان فيها ولا نكد ولا هم ولا حزن . أيبشرهم الله تعالى بأن فيها خمراً لذةً للشاربين ثم يُحرَموا منها ؟ إن معنى ذلك أنه لا يدخل الجنة أصلاً ، بل يبقى خالداً في النار ، قال عليه السلام : (ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : مدمن الخمر ، والعاق ، والديوث الذي يقر في أهله الخبث) رواه أحمد والنسائي والبزار والحاكم ، ذلك أنه صار بشربه الخمر من الفجار إن لم يتب ، والله سبحانه يقول :

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ﴾ (الانفطار ١٣ ــ ١٦)

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ الخمرة شيء خبيث وشرب الخمر عمل خبيث يلعن صاحبه .

٢ ــ شرب الخمر أمر عظيم وخطره جسيم شدَّد الإسلام فيه العقوبة .

٣ ــ فاعل الشر والمتسبب فيه سواء في اللعنة والإثم .

الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة

أبو عبيدة قال : بلغني عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب له بها سخطه إلى يوم القيامه) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع بن حبيب في مسنده برقم [٧٢٤] وأخرجه أيضا مالك والترمذي وابن ماجه وابن أبي شيبة مع اختلاف في بعض الألفاظ .

المعنى اللغـوي :

ـ **رضوان الله** : أي رضاء الله عـز وجـل .

ـ **ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت** : أي يعتبرها قليلة هينة .

ـ **إلى يوم يلقـاه** : يوم القيامة .

ـ **من سخط الله** : من غضبه .

التحليـل :

هذا الحديث جزء من حديث طويل رواه ابن ماجة وابن أبي شيبة من طريق علقمة بن أبي وقاص .. أنه مر به رجل له شرف فقال له علقمة : (إن لَك رحما وإن لك لحقا ، وإني

رأيتك تدخل على هؤلاء الأمراء وتتكلم عندهم بما شاء الله أن تتكلم به .. وإني سمعت بلال بن الحارث المزني صاحب رسول الله ـ ﷺ ـ يقول : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (إن أحدكم .. وساق الحديث إلى تمامه) ثم قال علقمة : فانظر ويحك ما تقول .. وماذا تتكلم به ، فرب كلام منعني أن أتكلم به ما سمعته من بلال بن الحارث .

والحديث في جملته يشير إلى أهمية حفظ اللسان ، وإلى تحفظ من الكلام وما يترتب على ذلك من أمور قد تكون محمودة ، وقد تكون مذمومة .. وقد لا يشعر بها الإنسان إلا بعد فوات الأوان .

ولا شك أن موضوع اللسان وهو آلة الكلام والنطق وأداة التعبير عمّا في ذهن الإنسان من أفكار ، لا شك أنه موضوع دقيق يحتاج إلى تنبه وعناية من الإنسان ، وإلى صيانة ومتابعة .. وإلى تحرز شديد لا سيما إذا أراد الإنسان النطق والتعبير .

وهذا ما يشير إليه الحديث هنا ، فقد يتكلم الإنسان بكلمة طيبة تعود عليه بالخير والنفع ، وتسبب له العاقبة الحسنة وكذلك للآخرين ويكتب له بها رضاء الله إلى يوم القيامة .

وقد يتكلم بكلمة لا يلقي لها بالاً ، ولا يفطن لمؤداها وعواقبها فتقوده إلى حتفه وهلاكه .

وقد تؤدي إلى عواقب وخيمة ، وكما يقولون : (ومعظم

النار من مستصغر الشرر) .. (وأن الحرب أولها كلام) .

وهذا ما يوضحه حديث ابن عمر عند ابن ماجة .. (إياكم والفتن فإن اللسان مثل وقع السيف) .

والمعنى : أن اللسان هو الذي يلهب الفتن ويجعلها تشتعل ويؤدي ذلك إلى الاقتتال .

وإذن فالمسلم مطالب إذا أراد الكلام أن يتفكر ويتدبر ويلقي باله إلى ما هو قائل ، وماذا سيقول ، وأن أي كلمة سيتلفظ بها ستلتقط منه وتكتب على الفور . قال الله تعالى : ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ (سورة قَ ــ آية ١٨)

ومعلوم أن أغلب زلات اللسان تأتي من عدم التثبت ، وعدم الاكتراث بما سيقوله الإنسان ، وعدم التفكر في عواقب ذلك القول ، كما جاء هذا المعنى موضحا في حديث أبي هريرة المتفق عليه (إن الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها إلى النار أبعد مما بين المشرق والمغرب) .

والمعنى أنه لا يعرف أنها خير أم شر لأنه لم يتثبت و لم يتفكر في الأمر قبل إلقائها .

ومن هنا جاءت النصوص تحث المسلم على حفظ اللسان وعلى الإحسان في القول ، وعلى أن يكون المرءُ دقيقا عندما يتكلم ، فاهما لما يقول وواعيا لنتيجة كلامه .

فقد امتدح القرآن الكريم الذين يعرضون عن اللغو في قوله

عز وجل :

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾ (المؤمنون ــ آية ٣)

وقال عنهم ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ (الفرقان ــ آية ٧٢)

وأحاديث النبي ــ ﷺ ــ في هذا الباب كثيرة لا تحصر ، ففي حديث أبي هريرة المتفق عليه .. عن النبي ــ ﷺ ــ قال : (من كان يؤمن بالله واليوم والآخر فليقل خيراً أو ليصمت) . وفي حديث أبي موسى الأشعري ــ المتفق عليه ــ قال : قلت يارسول الله : (أي المسلمين أفضل ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده) .

وجاء أيضا في حديث سهل بن سعد ــ المتفق عليه ــ قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (من يضمن لي ما بين لحييه وما بين فخذيه أو رجليه ، أضمن له الجنة) .

والمراد بما بين لحييه ورجليه : لسانه وفرجه .

وبذلك يتبين لنا خطورة اللسان .. وأهمية المحافظة عليه ، واستعماله فيما أحل الله ، فهو من جملة الأعضاء التي خلقها الله ــ عز وجل ــ في الإنسان ليستعملها في طاعته ، لا في معصيته ، وهو نعمة من أجل النعم التي أعطاها الله تعالى للإنسان ، فالواجب عليه رعاية هذه النعم ، وحفظها من الوقوع في الزلل ، وعدم استعمالها في الشر أو في معصية الله .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ خطورة اللسان وأهميته ، وأنه وإن كان عضواً صغيراً في الإنسان ، لكنه ينطوي على أهمية بالغة بالنسبة لوظيفته التي يقوم بها ، وهي الكلام .

٢ ــ يجب على الإنسان مراعاة ما يتكلم به ، من حيث مؤداه وعواقبه إن كان خيراً أو شراً .

٣ ــ التحذير من التهاون في أمر الكلام ، ومن التساهل فيما يقوله الإنسان . بحيث لا يلقي بالا للكلمة فيقع فيما لا يحمد له عقباه .

٤ ــ إن الكلمة الطيبة والقول الحسن ، ولو كان قليلا ــ يؤدي إلى عاقبة حميدة ، وعكسه يؤدي إلى العاقبة الوخيمة والعياذ بالله .

النهي عن سوء الخلق

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ، ولا تجسسوا ، ولا تحسسوا ، ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخوانا) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع بن حبيب برقم : [٦٩٨] وأخرجه أيضا البخاري ومسلم ومالك ، وأحمد بن حنبل والترمذي .

المعنى اللغوي :

ـ **إياكم والظن** : أي اجتنبوا سوء الظن بالمسلمين فلا تتهموا أحداً منهم بفاحشة مالم تظهر عليه . والظن : عدم اليقين ، والحكم بمجرد الشبهه .

ـ **لا تجسسوا ولا تحسسوا** : لا تبحثوا عن عيوب الناس ولا تتبعوها سواء كانت خفية أم ظاهرة .

ـ **لا تنافسوا** : لا تتسابقوا للانفراد بالمرغوب ، وتستأثروا به دون الآخرين .

ـ **لا تحاسدوا** : لا يحسد بعضكم بعضا ، والحسد إحساس نفساني مركب من استحسان نعمة لدى الغير مع تمني زوالها عنه .

ـ **لا تدابروا** : التدابر التهاجر والإعراض والمعاداة .

التحليل :

الخلق الرفيع سمة من سمات المجتمع الإسلامي ، وجزء من العقيدة الإسلامية . وسلامة النفس وطهارة القلب ليست أقل قيمة من الشعائر التعبدية كالصلاة والصوم مثلا . فالقرآن الكريم الذي أمرنا بهما وحذرنا عن تركهما ، كلفنا بأن نتمسك بحسن الخلق وأن نتجنب ذميم الخلال ، ونحن لا محالة منهيون أن نؤمن ببعض الكتاب ونكفر ببعض . فقد أنكر الله تعالى ذلك على بني إسرائيل حيث قال عز من قائل :

﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة ـ ٨٥)

وحول هذا المعنى يتنزل حديث رسول الله ـ ﷺ ـ : (إياكم والظن ..) فقد تعرض فيه النبي الكريم إلى الجانب الثاني من جانبي بناء الخلق الإسلامي القائم على النهي والتحذير من الأخلاق السيئة التي تخدش المروءة ، وتمس بكرامة الفرد المسلم ، وتعرّض الحديث إلى ستة منها إذ كان من شأنه ـ ﷺ ـ أن يعالج أمراض المجتمع بحسب المناسبات وما يستدعيه الحال والمقام طيلة زمن الدعوة .

ومن خلال هذا التحذير والتوجيه يعالج النبي ـــ ﷺ ـــ هذه الأمراض حتى تستقيم الحياة وتسود الفضيلة ويعيش المسلمون ـــ كما جاء في آخر الحديث ـــ إخوانا متحابين ، وهو متوقف على الاتزان الخلقي ، وانضباط السلوك ، بحيث تصير كل حركة عن وعي ، وتستهدف غاية كريمة ، مصداقا لقوله ـــ ﷺ ـــ : (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ..) .

والإسلام حينما يحث على فضائل الأخلاق ، ويحذر من ذميمها ، يعمل على إحاطة المجتمع الإسلامي بالسياج الذي يقيه العوادي ، والحصن الذي يصونه من التصدع والانقسام .

وهذه الأخلاق التي ورد التحذير منها في هذا الحديث هي :

أولا ـــ سـوء الظـن :

سوء الظن بالناس أولى الآفات التي حذر منها رسول الله ﷺ ، وفي ذلك إشارة إلى عظم خطرها وضررها على المجتمع ، وقد جاء التحذير من هذه الآفة في القرآن الكريم قال المولى ـــ تبارك وتعالى ـــ مخاطبا المؤمنين ومذكراً إياهم بموجبات الإيمان الصحيح :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾
(الحجرات ــ ١٢)

فلا يستقيم إيمان بالله وسوء الظن بالناس في قلب واحد . إنه من الظلم أن يحكم أحدنا بمجرد الظن ، دون تيقن لأنه تجن على الآخرين إذ كيف يكون حال مجتمع تشيع فيه التهم التي لا سبب لها ولا أساس ؟! وكيف يكون حال رجل يتهم بالفاحشة من غير أن يظهر عليه ما يقتضيها ؟! أليست هي الفتنة ؟!

والإسلام بنهيه عن سوء الظن ، ينظف المشاعر والضمائر من داخلها ويتركها نقية بريئة من الهواجس والشكوك ، فيُكن الواحد منا لإخوته في الإسلام والإنسانية المودة التي لا يخدشها سوء الظن ، والبراءة التي لا تلوثها الريب والشكوك ، والطمأنينة التي لا يعكرها القلق والتوقع .

إن الناس في المجتمع الإسلامي لا يجوز بحال من الأحوال أن يؤخذوا بالظن السيء ولا يحاكموا بالريبة ، ولا يباح أن يكون الظن أساسا لمقاضاتهم ، ولا للتحقيق معهم (.. إن بعض الظن إثم) إنهم عَلى أصلهم أبرياء ، مصونة حقوقهم وحرياتهم .

وزيادة في تقبيح سوء الظن ، وصفه النبي ــ ﷺ ــ بأنه : (أكذب الحديث) لعدم مطابقته الواقع ــ سواء كان

قولا أو فعلا ــ ففي الوصف تنفير من سوء الظن إذ لا أحد يرضى أن يكون كذابا . فالكذب خيانة كبيرة وآية من آيات النفاق ، يفطر الصائم ، وينقض الوضوء ، وقد حذر منه ــ ﷺ ــ أيما تحذير في الحديث الذي أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي وغيرهم عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة ومازال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ومازال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا) .

ثانيا ــ التجسس والتحسس :

ينكر الإسلام أيما إنكار البحث عن عيوب الناس ما ظهر منها وما بطن ، فمن الدناءة أن يتتبع المرء أحاديث الناس وما يجرى في مجالسهم ، ومن القبح أن يطلع على بيوتهم ليتعرف على من يدخلها ويخرج منها ، أو أن يقرأ رسائل الناس بغير إذن أصحابها . إن كل ذلك عمل دنيء يحرمه الإسلام ، ويعتبره اتجاها لئيما يتعارض مع طبيعة المجتمع الذي يريد الإسلام إقامته ، يعيش فيه الناس آمنين على أنفسهم ، وبيوتهم وأسرارهم وعوراتهم ، ولا يوجد مبرر ــ مهما كان ــ

لانتهاك ما ستره الناس من عورات ومعايب فقد جاء عن النبي ـــ ﷺ ـــ قوله : (من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة) أي الرصاص المذاب . أخرجه البخاري والترمذي وأبو داود عن ابن عباس مع اختلاف في بعض ألفاظه .

وفي التجسس على المجتمع الآمن إثارة للفساد والفتنة بين الناس ففي الحديث الذي أخرجه أبو داود وغيره عن معاوية بن أبي سفيان قال : سمعت رسول الله ـــ ﷺ ـــ مخاطبا أحد الصحابه : (إنك إن اتَّبعتَ عورات النَّاسِ أفسدتهم أوكدت أن تفسدهم) . فبئست أمة لا يأمن فيها الأخ أخاه ولا يطمئن الجار إلى جاره .

ثالثا ـــ التنـافس :

نهى النبي ـــ ﷺ ـــ عن التنافس والتكالب على الدنيا ، إذ لا أثر للإسلام وللإيمان لدى إنسان همه في الدنيا أن يجمع من حطامها أكبر مما جمع غيره وأن يسبق جاره بكل جديد يباع في السوق ، ويجهد نفسه في الحصول على ألفين إذا حصل غيره على ألف . إذا تمكن هذا الطبع من قلب الإنسان يسهل عليه أن يتعدى حدود الله تعالى ويسهل للشيطان أن يزين له عمله ، ثم يوجد له الأعذار ، فتراه يتصيّد النصوص التي تناسبه ، ليقنع نفسه أنه على صواب .

ولقد حذر النبي ــ ﷺ ــ كل التحذير من التباري في متع الحياة فقال : (إني والله لا أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكني أخاف عليكم أن تنافسوا فيها) أي الدنيا . وقال عليه الصلاة والسلام حين وصلت جزية البحرين واستبشر الصحابة بها : (أبشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتلهيكم كما ألهتهم) .

يوجهنا النبي ــ ﷺ ــ من خلال هذا النهي إلى أن نتعامل مع زهرة الحياة الدنيا وبهجتها وفق الأوامر والنواهي الشرعية وفي الإطار الذي ضبطته حدوده .

وقد كان السلف الصالح رضوان الله عليهم قمة في الترفع عن الدنيا وحطامها الزائل . فهذا الإمام جابر بن زيد ــ رضي الله عنه ــ حينما وصفه بعض العلماء بقوله : (إنه كان مسلما عند الدرهم والدينار ..) فالدنيا جسر إلى الآخره ، فطوبى لمن آثر ما يبقى على ما يفنى .

رابعا ــ الحسَـد :

إنه يعني أن يكره المرء ما أنعم الله به على الغير ويرجو زوال هذه النعمة عنه وهو طبع لئيم ، وآفة تصيب القلب فتفسده ؛ لذا أمرنا الله أن نستعيذ به منه فقال عز وجل :

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ

﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

إن الحسد أحد الشرور العظيمة ، وأكثرها خطراً وضرراً ينشر في الأمة الفساد والعداوات . ولقد جاء عن النبي ـــ ﷺ ـــ قوله : (دبّ إليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد ..) . وقال : (لا يزال الناس بخير مالم يتحاسدوا ..) لقد كان الحسد سببا في أولى جرائم القتل التي عرفتها البشرية ، بين الأخوين قابيل وهابيل ، وبسبب الحسد فعل إخوة يوسف ما فعلوا في يوسف ـــ عليه السلام ـــ ثم ان هذا الخلق الذميم أحد أخلاق الكافرين ، قال الله عز وجل :

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ (البقرة ١٠٩) . إن الحسد هو الثمرة الطبيعية للعداوة والكبر والعجب ، وحب الرياسة .. ولا يعالج الحسد إلا بالتخلص من تلك الأسباب ، حين يستعيد المرء ثقته بالله كاملة ، ويدرك الحاسد ويتحقق من أن ضرر الحسد سيصيبه دون المحسود ، ويشعر بالغم والحرمان وضيق الصدر بما ينعم به المحسود ، وبما يزيده الله من فضله ، ويدرك أن المنهج الذي يسلكه إنما يعبر عن سخط الحاسد لقضاء الله وقدره ؛ وعن شكه في عدل المولى عز وجَل ، وهذا يمس بعقيدة التوحيد التي تقرر أن الأرزاق بيد الله يمنحها بعدلِ من شاء ، ولا شك أن هذا نقص في الدين ، وضعف في اليقين جاء في القرآن الكريم قوله تعالى :

« وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ

(الزخرف ٣١ ــ ٣٢) .

خامساً ــ التدابر :

وهو التقاطع ، وهو آخر ما نهى عنه الرسول ــ ﷺ ــ في هذا الحديث فهو يرفض من المسلم أن يتسبب في زعزعة وحدة المسلمين ، بدءاً بالإعراض عن الغير وهجرانهم ، وانتهاء بكل ما يسبب الفتنة بين أبناء الأمة وجماعاتها المختلفة . جاء في روايات لهذا الحديث عن رسول الله ــ ﷺ ــ (لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ، ولا تحاسدوا ، وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ..) . إن التدابر والتقاطع ظاهرة خطيرة ، وعلامة على ضعف الأمة وزوالها ، وما هي إلا نتيجة لتلك الخصال السيئة التي أوردها النبي ــ ﷺ ــ في الحديث فالظن يفقد الثقة بين المسلمين ، ويدفع بصاحبه إلى التجسس لمعرفة أسرار الناس والتنافس يولد الحسد ويملأ القلوب بالضغينة والأحقاد ، وسرعان ما تنتهي هذه الأمراض إلى تقويض بناء الأمة الإسلامية المتماسك .

وقد اختتم النبي الكريم حديثه بنصيحة وجهها إلينا ، ضَمّنها كل معاني الإشفاق والرحمة والمحبة فنادانا : (يا عباد الله) تذكيراً لنا بعبوديتنا للخالق وما تستوجبه هذه العبودية من التزامات ثم قال : (كونوا عباد الله إخوانا) عبارة موجزة توحي بالكثير من المعاني أي وفروا كل معاني الأخوة التي هي أساس المجتمع الإسلامي بأن تتخلوا عن الدنايا الخلقية وتتصفوا بفضائل الأخلاق وتوطنوا أنفسكم على حب الخير للآخرين .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ الإسلام ينهى عن كل ما من شأنه أن يورث العداوة والخصام بين أفراد المجتمع المسلم ويحث على كل ما من شأنه أن يوجد الإخاء والوحدة بين المسلمين .

٢ ــ تحريم سوء الظن بالمؤمنين .

٣ ــ التنافس على حطام الدنيا ليس من شأن المسلمين .

٤ ــ الحسد منبع كثير من الأمراض النفسية كالعجب والكبر .

٥ ــ تحريم التجسس على عورات الناس .

إرخـاء المـرأة إزارهـا

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ـ ﷺ ـ لما ذكر الإزار قالت أم سلمة والمرأة يارسول الله ، قال : (ترخي شبرا) قالت : إذا ينكشف عنها قال رسول الله ﷺ : (فذراعا لا تزيد عليه)

الحديث أخرجه الإمام الربيع ، رحمه الله ، برقم [٢٧٣] وأخرجه أيضا مسلم وأبو داوود والترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح والنسائي وابن ماجه ومالك في الموطأ والدارمي وأحمد في مسنده .

المعنى اللغـوي :

ـ **لما ذكر الإزار** : أي لما ذكر رسول الله ـ ﷺ ـ التحذير والوعيد على جر الإزار .

والمرأة يارسول الله : أي كيف تصنع المرأة .

ـ **ترخي شبرا** : الشبر بكسر المعجمة ما بين طرفي الخنصر والإبهام بالتفريج المعروف .

ـ **الـذراع** : من المرفق إلى أطراف الأصابع .

التحليـل :

امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بأن أنزل عليهم لباسا

يواري سوآتهم ويستر عوراتهم فقال :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (الأعراف ــ ٢٦)

وأتى هذا الامتنان بعد أن أخبرنا سبحانه وتعالى قبل هذه الآية الكريمة بما فعله إبليس عليه لعنة الله مع أبينا آدم عليه السلام وأمنا حواء فقال :

﴿ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَاۚ وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۚ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣ ﴾ (الأعراف)

ثم يحذرنا سبحانه وتعالى من أن يفتننا الشيطان فيحسن لنا إبداء عوارتنا الواجب علينا سترها كما فعل ذلك مع أبوينا ــ عليهم السلام ــ من قبل فقال :

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ ﴾ (الأعراف ٢٧)

ولعظم هذه الكبيرة وقبحها سماها الله سبحانه وتعالى فاحشة فقال :

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف ٢٨)

أخرج ابن جرير الطبري في تفسيره بسنده عن ابن عباس قال : واذا فعلوا فاحشة طوافهم بالبيت عراة . وأخرج نحوه عن مجاهد وسعيد بن جبير والشعبي والسدي وغيرهم .

وهكذا تفعل الجاهلية بالناس في كل عصر ومكان تمسخ عقولهم وتفسد فطرهم وتبلد إحساسهم وتقلب موازينهم حتى يروا الحق باطلا والباطل حقا والمعروف منكرا والمنكر معروفا ، وهذا ما تفعله الجاهلية الحاضرة بالناس بل وأشد تعريهم من اللباس وتعريهم من التقوى والحياء ثم تزعم متبجحة أن هذا رقي وحضارة وتجديد . لم يكفها ذلك بل تعير الكاسيات من الحرائر العفيفات من المسلمات بأنهن رجعيات تقليديات ريفيات !! المسخ هو المسخ والانتكاس بالفطرة هو الانتكاس والتبجح هو التبجح

﴿ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾ (الذاريات ــ ٥٣)

وقد أجمع العلماء على وجوب ستر العورة عن أعين الناس وتحريم النظر إليها انطلاقاً من قوله عليه الصلاة والسلام : (ملعون من نظر إلى عورة أخيه وملعون من أبدى عورته للناس) ، ونهيه ــ ﷺ ــ أن ينظر الرجل إلى عورة الرجل

والمرأة إلى عورة المرأة وأن يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد وأن تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد ، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضي المرأة إلى المرأة في الثوب الواحد) .

وبالرغم من الحملات التي تشن في العصر الحديث ضد اللباس الإسلامي للمرأة فإن بعضا من مفكري الغرب وعلمائه اعترفوا بما لهذا الحجاب من مزية في صون المجتمع من التفسخ والانحلال بل والعذاب الأليم الذي تعيشه المرأة من انتهاك لعرضها واعتداء على شرفها وفقد لحيائها فنظروا إليه نظرة تقدير واستحسان وإعجاب ومن بين هؤلاء الكاتب المعروف هملتون حيث يقول «.. أحكام الإسلام في شأن المرأة صريحة في توفير العناية برقابتها من كل ما يؤذيها ويمس بكرامتها وينال سمعتها . ولم يضيق الإسلام في الحجاب كما يزعم بعض الكتاب بل إنه تمشى مع مقتضيات الغيرة والمروءة» وقال البروفيسور المعروف «فون همر» : «والحجاب في نظام الإسلام وتحريم اختلاط النساء بالأجنبي ليس معناه انتزاع الثقة بهن وإنما هو وسيلة إلى الاحتفاظ بما يجب لهن من الاحترام والاحتشام وعدم التبذل فالحق إن مكانة المرأة في الإسلام قمينة بأن تغبط عليها»

وهذا مجرد ضرب مثال على ما يقوله بعض مفكريهم وإلا فكلامهم في هذا المضمار كثير لأنهم عاشوا في تلك الأجواء الموبوءة التي لا يأمن الإنسان فيها على نفسه ولا عرضه . بل ورد في بعض التقارير أنه لا تمر ربع ساعة عندهم إلا وفيها حالة اغتصاب وقتل ونهب وما ذلك إلا بما كسبته أيديهم .

ولما تقرر من وجوب ستر المرأة لكامل جسدها وحرمة إبداء شيء منه ـــ ما عدا الوجه والكفين مع أمن الفتنة ـــ فإن أم سلمة رضي الله عنها لما سمعت من رسول الله ـــ ﷺ ـــ الوعيد لمن يجر ثوبه أرادت أن تعرف هل هذا الوعيد يشمل النساء أولا ؟ فسألت رسول الله ـــ ﷺ ـــ عن حكم المرأة في ذلك فبين لها ـــ ﷺ ـــ أن حكمهن في ذلك خارج عن حكم الرجال فيرخين ذيولهن شبرا . ونظرا لعلم أم سلمة بحال النساء أخبرت النبي ـــ ﷺ ـــ بأن أقدامهن ستنكشف اذا أرخين ذيولهن شبرا فقط فرخص لهن الرسول ـــ ﷺ ـــ أن يرخين ذراعا ولا يزدن عليه .

فحكم ذيل المرأة له حالتان :

أ ـــ حالة استحباب . ب ـــ حالة جواز .

أ ـــ فحالة الاستحباب أن ترخي ذيلها قدر شبر .

ب ـــ وحالة الجواز أن ترخيه قدر ذراع .

واختلف العلماء في تحديد بداية هذا الشبر أو هذا الذراع على أوقال منها :

القول الأول : بدايته تكون من الحد الممنوع منه الرجال وهو ما سفل من الكعبين .

القول الثاني : تكون من أول ما يمس الأرض وإلى هذا القول ذهب كثير من المحققين وهو الظاهر بدليل رواية أبي داؤود وابن ماجه والنسائي واللفظ له عن أم سلمة قالت : سئل رسول الله ـــ ﷺ ـــ كم تجر المرأة من ذيلها قال : شبرا قالت : إذن ينكشف عنها قال : فذراعا لا تزيد عليه فظاهره أن لها أن تجر على الأرض منه ذراعا والجر هو السحب على الأرض كما هو معلوم .

ورفعا للمشقة والحرج عن النساء جعل الشرع الشريف طهارة ذيل المرأة فيما تمر عليه من طاهر بعده وهذا فيما لم تتحقق فيه النجاسة حتما كالذي يتعلق بذيل النساء من ندوة الأرض وما شابه ذلك . أما النجس المحقق فيجب غسله . فعن أم سلمة أن امرأة سألتها فقالت : (اني امرأة أطيل ذيلي وأمشي في المكان القذر) فقال لها رسول الله ـــ ﷺ ـــ : (يطهره ما بعده) .

وكون جر الذيول من خصائص النساء معروف ومعهود عند العرب فكانوا يمدحون الرجل الذي لا يطيل ثيابه ويعدون

ذلك من كمال رجولته يقول دريد بن الصمة مادحا أخاه :

كميش الازار خارج نصف ساقه صبور على اللأواء طلاع أنجد

ويقول الآخر :

كتب القتل والقتال علينا وعلى الغانيات جر الذيول

وإن مما يعجب منه حقا أن تنعكس الحال عند بعض الناس فنراهم يطيلون ثيابهم تشبها بالنساء والنساء هن اللائي يخرجن سيقانهن تشبها بالرجال ومجاهرة بمخالفة أوامر الله عز وجل .

وإذا أراد الله فتنة معشر وأضلهم رأوا القبيح جميلا

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ إطالة الثياب وجرها من خصائص النساء .

٢ ــ أخذ بعض العلماء من هذا الحديث أن قدم المرأة عورة .

٣ ــ تكريم الإسلام للمرأة وصونها عن التبذل .

اقتطاع حق الناس باليمين الكاذبة

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (من اقتطع حق مسلم بيمينه حرم الله عليه الجنة وأوجب له النار) قال له رجل : وان كان شيئا يسيرا يارسول الله فقال رسول الله ــ ﷺ ــ : (وان كان قضيبا من أراك) .

الحديث أخرجه الامام الربيع رحمه الله برقم [٦٦٠] وأخرجه أيضا مسلم ومالك في الموطأ بلفظه وأخرج معناه البخاري والترمذي وقال حديث حسن صحيح والنسائي والدارمي وأحمد .

المعنى اللغوي :

ــ **اقتطع** : افتعل من القطع أي قطع المال عن صاحبه وضمه إليه بيمينه الفاجرة .

ــ **حق مسلم** : أي حق موحد وذكر المسلم ليس قيدا بل للتغليب فالذمي والمعاهد مثله في حرمة مالهما .

ــ **حرم الله عليه الجنة** : أي حرمه منها ومنعه من دخولها إن لم يتب .

ــ **أوجب له النار** : أي حكم له باستحقاق دخول النار إن لم يتب .

ـ **قضيب** : على وزن فعيل بمعنى مفعول أي مقضوب بمعنى مقطوع .

ـ **من أراك** : بفتح الهمزة شجر معروف يستاك بعيدانه وخاصة عروقه .

التحليل :

حفظ الإسلام للإنسان ماله وجعله في حرز ومأمن من أن تصل إليه أيدي الطامعين وجعل على من يدعي ما في يد إنسان آخر أن يأتي بحجة عادلة تثبت له ما ادعاه حسما للفوضى والادعاءات الباطلة فإن عجز عن إقامة البينة العادلة شاهدان ـ أو أكثر ـ فعلى صاحبه أن يحلف على ما في يده لتثبت ملكيته له فيه بحكم الظاهر .

ونظرا إلى عظم ذنب من يحلف كاذبا ليظلم الناس أموالهم ويعتدي على حقوقهم فقد تضافرت النصوص من كتاب الله الكريم ومن سنة نبيه ـ ﷺ ـ محذرة من الأيمان الكاذبة منذرة بالوعيد الشديد أولئك الذين يشترون بأيمانهم عرضا من أعراض الدنيا ومتاعا زائلا من أمتعتها فقد قال عز وجل : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آل عمران ـ ٧٧)

وأخرج البخاري وغيره في سبب نزول هذه الآية الكريمة

أن النبي ـــ ﷺ ـــ قال : (من حلف على يمين كاذبا ليقتطع مال أخيه لقي الله وهو عليه غضبان) وأنزل الله عز وجل تصديق ذلك في القرآن :

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا .. الآية﴾

والحالف على يمين كاذبة ليظلم أخاه من الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم برحمته يوم القيامة فعن أبي هريرة رضي الله عنه عند البخاري عن النبي ـــ ﷺ ـــ قال : ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجُلٌ كان له فضل ماءٍ بالطريق فمنعه ابن السبيل ، ورجل بايع إمامَهُ لا يبايعه إلا لدنيا ، فإن أعطاه منها رضي ، وإن لم يعطه منها سَخِط . ورجل أقام سلعته بعد العصر فقال : والله الذي لا إله غيره لقد أعطيتُ بها كذا وكذا ، فصدقه رجل . ثم قرأ هذه الآية : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا .. الآية﴾

وليس في قوله ـــ ﷺ ـــ (.. ليقتطع بها مال رجل مسلم ..) ما يفيد جواز ذلك مع غير المسلم إذ ذكر المسلم جرى مجرى التغليب لا التقييد . أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن ابن عباس أن رجلا سأله فقال : إنا نصيب في الغزو من أموال أهل الذمة فقال ابن عباس فتقولون ماذا ؟ قال نقول : (ليس علينا بذلك بأس) قال : هذا كما قال أهل الكتاب (ليس علينا في الأميين سبيل) إنهم إذا أدوا الجزية لم تحل لكم أموالهم

إلا بطيب أنفسهم . فالذمي إذا أدى الجزية فهو محقون الدم والمال .

وهذا النوع من اليمين الذي اقتطع به مال أخيه تسمى باليمين الغموس ، قيل سميت بذلك لأنها تغمس صاحبها في الإثم ثم في النار ــ والعياذ بالله ــ وهي من الكبائر المنصوص عليها . فعن عبد الله بن عمرو عن النبي ــ ﷺ ــ قال : (الكبائر : الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس) والحديث في ألفاظه اختلاف .

ولا فرق بين ظلم قليل المال وكثيره فإن من تسوغ له نفسه استحلال اقتطاع القليل من أموال الناس تسوغ له باعتياد ظلم القليل الكثير فأتى قوله عليه السلام (ولو كان قضيبا من أراك) مستأصلا لما قد يخطر بأذهان بعض الناس من التساهل في المال القليل .

ولعظم ذنب من حلف كاذبا ليظلم مال أخيه فان العقوبة قد تعجل له في الدنيا أيضا فكم من يمين كاذبة قصمت صاحبها في نفسه أو ماله أو ولده أو فيهم جميعا ، وهذا مشاهد في أوساط المجتمعات . يروى أن أحد القضاة حلفّ شخصا لما لزمته اليمين بعد أن نهاه فلم ينته وكان كاذبا فما خرج من مجلسه ذلك بل التصقت يده بصدره فلم تزل تحفره حتى خرقته .

ولقد تساهل الناس في الأيمان كثيرا فتجد كثيرا منهم لا يكاد يتكلم بجملة أو جملتين إلا ويحلف بالله تعالى ، والحلف

بالله تعالى صادقا وإن كان جائزا إلا أن الإفراط فيه مكروه فقد ذم الله تعالى من أكثر الحلف بقوله : ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾

وكان العرب يمدحون الإنسان بالإقلال من الحلف كما قال أحدهم :

قليل الإليـاء حافـظ ليمينـه وان سبقت منه الألية برت

والحكمة في الأمر بتقليل الأيمان أن من تعود الحلف في كل قليل وكثير بالله أنطلق لسانه بذلك ولا يبقى لليمين في نفسه وقع فلا يؤمن إقدامه على اليمين الكاذبة . ومن كمال تعظيم الله أن يكون ذكره عز وجل أعلى عند الإنسان من أن يستشهد به في كل دقيق وجليل وفي عرض من أعراض الدنيا .

ومما فشا بين الناس في أمر الأيمان الحلف على السلع والبضائع بالكذب ترويجا لها فيحلف التاجر أنه أعطي في بضاعة ما كذا وكذا ريالا وهو لم يعط ذلك وإنما ليرغب المشتري في الشراء ويغرر به وهذا حرام ولا ريب لما فيه من تغرير للمسلمين وأكل لأموالهم بالباطل بل ولما اقترن به من حلف كذب .

وقد حذر النبي ـــ ﷺ ـــ من هذا الطبع الذي يدل على انعدام المروءة وكثرة الجشع والطمع في ابتزاز أموال الناس منهم بالباطل فقال في شأن هؤلاء : (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ، رجل حلف على سلعة لقد أعطي بها أكثر مما أعطي وهو كاذب ..) الحديث تقدم .

وروى مسلم وأصحاب السنن عن أبي ذر ، رضي الله عنه ، عن النبي ــ ﷺ ــ قال : (ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم فقرأها ثلاث مرات) . قال أبو ذر : خابوا وخسروا . من هم يارسول الله ؟ قال : (المسبل إزاره والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب) .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أن الحلف يمحق البركة من البيع فقال : (الحلف منفقة للسلعة ممحقة للبركة) .

ولئن كان ذلك هو إثم وعاقبة أمر من يحلف بالكذب ليظلم الناس أموالهم ويقتطعها منهم بغير حق فإن الظلم نفسه ، ولو لم يقترن باليمين ، من الموبقات التي تردي صاحبها والكبائر التي تهلك فاعلها وناهيك بقوله ــ ﷺ ــ (الظلم ظلمات يوم القيامة) .

قال بعض العلماء «الظلم ! يشتمل على معصيتين أخذ مال الغير بغير حق ومبارزة الرب بالمخالفة والمعصية فيه أشد من غيرها لأنه لا يقع غالبا إلا بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار» .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ القطع بتعذيب أهل الكبائر وخلودهم في النار .

٢ ــ استحقاق دخول النار يكون باليمين الفاجرة ولو اقتطع بها صاحبها شيئا يسيرا من مال أخيه .

٣ ــ عظم ذنب من يحلف كاذبا ولو لم يقترن بظلم أموال الناس .

٤ ــ لا توبة لمن ظلم شيئا من أموال الناس إلا بإرجاعها .

مما نهيت عنه المرأة

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس عن النبي ـ ﷺ ـ قال : (لعن الله النامصة والمتنمصة والواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والمتفلجات للحسن) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع رحمه الله تعالى برقم [٦٣٧] وأخرجه أيضا البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه مع اختلاف في بعض الألفاظ .

المعنى اللغوي :

ـ **اللعن** : الطرد من رحمة الله .

ـ **النامصة** : النماص نتف شعر الوجه بالمناص وهو المنقاش والنامصة هي التي تأخذ من شعر حاجبيها أو من شعر غيرها ليكون رقيقا معتدلا .

ـ **المتنمصة** : هى التي تطلب فعله من غيرها .

ـ **الواصلة** : هي التي تصل شعر رأسها أو شعر رأس غيرها ليبدو طويلا .

ـ **المستوصلة** : هي التي تستدعي أن يفعل بها ذلك .

ـ **الواشمة** : فاعلة الوشم وهي التي تجعل الوشم في وجهها أو ذراعيها .

ـ **المستوشمة** : هي التي تطلب أن يفعل بها ذلك .

وصورة الوشم هو أن تغرز إبرة أو نحوها في العضو حتى يسيل الدم ثم يحشى مكان الغرز بنورة أو نحوها حتى يخضر ذلك المكان . أو أن تجعل المرأة الخيلان ـ اللون ـ في وجهها طريق الكحل أو المداد . ويكون تارة نقشا في شكل دوائر كما يفعل الآن كثير من النساء .

ـ **المتفلجات** : هن اللاتي يفلجن ما بين أسنانهن من أجل الجمال وهو انفراج ما بين الأسنان ويستعمل ذلك بآلة مثل المبرد ونحوه وتفعله من تكون أسنانها متلاصقة أو كبيرة السن لتوهم الناس أنها صغيرة . وهذا كله من تغيير خلق الله .

التحليـــل :

يريد الإسلام من المرأة المسلمة أن تتصف بالبساطة وأن تبقى على فطرتها التي خلقت عليها .

وأن تبتعد عن مجال التكلف والأبهة المفتعلة والتصنع الزائد ، وأن تكون زينتها وجمالها نابعا من الفطرة متمشياً مع أصل الخلقه محكوما بتوجيهات دينها وأحكامه السديده .

وبذلك تبقى في إطار الخلق الكريم الذي يدعو إليه الإسلام وتحيا حياة وديعة هانئة خالية من التكلف والتعقيد وبعيدة عن الحياة المصطنعة التي تعتمد في الغالب على الزيف والمظهر والمغالاة والتي تفقد المرأة بسببها كثيراً من المزايا الأخلاقية

والصفات الحميدة .

ومن هنا جاء هذا الحديث النبوي الشريف مشدداً على المرأة ومنفراً لها من مزاولة هذه الأمور التي كانت شائعة في العصر الجاهلي .

وهي وصل الشعر وترقيق الحواجب والوشم وفلج الأسنان .

وكانت النساء تستعمل هذه الأشياء كنوع من التجميل والتزين .

وبما أن هذه الأساليب تنطوي على التدليس والغش والتغرير واخفاء الزينة الحقيقية وإيهام الآخرين بما هو غير الواقع .

فقد جاء التوجيه النبوي في هذا الحديث حاسماً ــ كعادته ــ في القضايا التي تحتاج إلى علاج حاسم . من أجل ذلك فقد استعمل في هذا الحديث أسلوب اللعن وهو الطرد والبعد عن رحمة الله .

وهو أسلوب تربوي رفيع كثيراً ما يرد في نصوص القرآن الكريم وفي أحاديث النبي ــ ﷺ ــ غايته تقبيح تلك الأفعال والتنفير منها .

ولا شك أن هذا اللعن يشمل التي تفعل بنفسها هذه الأمور والتي تفعل بغيرها كما هو واضح من الحديث . ويدخل في هذا الباب صبغ الشعر بالسواد . فكثير من النساء يصبغن شعورهن

وعلى الأخص شعر الرأس وقد تكون المرأة شمطاء وكبيرة السن في واقع أمرها وإنما تعمل ذلك إظهارا للتصابي ولتبدو أنها صغيرة . وهو وضع لا يليق بالمرأة المسلمة .

وكون المرأة تكبر وتتقلب بها الأحوال فهذا أمر طبيعي وفطري ولا يصح تغييره بصبغ الشعر .

والعجيب في الأمر أن النساء المسلمات رجعن الآن إلى نفس الوضع الذي كانت عليه المرأة في جاهليتها الأولى من التزين المصطنع والبهرجة المزيفة ، وذلك بسبب ما وفد إلى البلاد الإسلامية من مثل هذه الظواهر التي تأخذ بها النساء في البلاد الأجنبية ، وبسبب ما استجد هنالك من وسائل ومستحدثات .

فقد راحت المرأة المسلمة تباري غيرها في تطويل الشعر ، وترقيق الحواجب ، وصبغ الأظافر وتطويلها ، وطلاء الوجه والمكياج ، إلى غير ذلك من الأمور التي قلدت فيها المرأة المسلمة المرأة الأجنبية الكافرة ، وهذا كله مما نهى عنه الدين الحنيف وأمر بالابتعاد عنه وشدد النكير على من ترتكب ذلك من النساء .

فعلى المرأة المسلمة أن تمتثل لأوامر الله عز وجل وتطيعه فيما أمر ونهى وتربأ بنفسها أن تكون محل سخط الله وغضبه بسبب ارتكابها لمثل هذه الأمور التي قد تظنها هيّنة في حين أنها

تستوجب اللعن والمقت والطرد من رحمة الله ـــ والعياذ بالله ـــ .

ما يستفاد من الحديث :

١ ـــ العقاب الشديد والذي يصل إلى الطرد من رحمة الله لمن تعمل شيئاً من هذه الأمور المذكورة في الحديث .

٢ ـــ التصريح باللعن في هذه الأمور يدل على أنها من كبائر الذنوب .

٣ ـــ نهي المرأة المسلمة عن الغلو في التزين وعن إبداء ما يخالف الواقع والحقيقة .

٤ ـــ حث المرأة المسلمة على أن تتعامل مع الفطرة ومع الواقع وأن لا تلجأ إلى التزوير وافتعال المظاهر .

سوء الخلق يمنع من دخول الجنة

قال الربيع بن حبيب : قال جابر بن زيد يروى عن رسول الله ـ ﷺ ـ أنه قال : (لا يدخل الجنة مخنَّث ولا ديوث ولا فحلة النساء ولا الركّاضة) قيل : وما الركاضة يارسول الله ، قال : (التي لا تغار) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع بن حبيب ـ رحمه الله ـ برقم [٧٤٣] وأخرجه أيضا الطبراني والنسائي والبزار والحاكم بزيادة ونقص .

المعنى اللغوي :

ـ **الديّوث** : الذي يقر الفاحشة في أهله ولا يغار عليهم .

ـ **فحلة النساء** : التي تتشبه بالرجال .

التحليل :

إذا فسد قلب المرء فسدت أخلاقه ، وساءت تصرفاته ومعاملاته ، فيصير سيِّئ الخلق ، لا يرعى لنفسه ولا لغيره حرمة . ولا شك أن فساد الخلق يعني فساد الدين ، لأن الدين الخلق . قال النبي ـ ﷺ ـ : (إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله) رواه الترمذي والحاكم .

ولذلك فإن حسن الخلق هو دين المرء وحاجزه عن سفاسف الأمور ورذائلها ، فمن ساء خلقه فليس عجيباً أن تسوء حاله وكل أموره .

ومن ذلك ، التنصل من أخلاق الرجال والتشبه بالنساء سواء في الملبس أو في الكلام أو في الحركات ، ولا شك أن ذلك من شيم فاقدي المروءة ومعدومي الحياء ، وهذه أفعال المخنثين الذين يتكسرون ويتثنون مثلما تفعل النساء ، أو يلبسون كلباسهن ، ويقولون مثلهن . لذلك منع الإسلام هذه الأمور التي يفسد بها المجتمع ، حتى أنه حرم على الرجل لبس الحرير والذهب ، لأن ذلك مما تستعمله النساء . عن ابن عباس رضي الله عنهما : لعن رسول الله ـــ ﷺ ـــ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال . رواه الجماعة إلا مسلماً والطبراني . وعن أبي هريرة قال : (لعن رسول الله ـــ ﷺ ـــ الرجل يلبس لِبْسة المرأة ، والمرأة تلبس لبسة الرجال) رواه أبو داود والنسائي والحاكم وابن حبان .

ومن سوء خلق المرء وفساد أحواله أن تموت الغيرة في قلبه ، وتنعدم الرجولة في دمه ويذهب الحياء من وجهه ، فيترك لأهل بيته حرية التصرف دون رقابة ولا صيانة ولا تربية ، وتتعدى هذه الحرية حدودها إلى الدين والخلق ، فلا يغار إذا خالطت زوجته الرجال الأجانب ، أو خرجت ابنته أو أخته خارج بيته

بمفردها إما إلى الأسواق التي يكثر فيها التقاء الرجال بالنساء ، أو إلى ما هو شر من ذلك . فهذا هو (الديوث) الذين لا دم في وجهه ولا رجولة فيه ، يقر الفاحشة في أهله ويرضاها لهم .

وإذا كان الإسلام قد حرّم تشبه الرجال بالنساء ، نظراً لأن لكل من الجنسين صفات خاصة به وأموراً لا تليق بالجنس الآخر ، فإنه حرم كذلك تشبه النساء بالرجال ، وذلك لما تقتضيه الرجولة من الصلابة والحزم والجلد والقوة ، ولا يليق كل ذلك بالمرأة التي ميزها الله تعالى عن الرجل بصفات تلائم أنوثتها وخلقتها . لذلك لا يصح لها أن تتشبه به سواء في الملبس أو في الحركات أو في الكلام أو غير ذلك ، فقد روى الطبراني أن امرأة مرت على رسول الله ـــ ﷺ ـــ متقلدة قوساً ، فقال : (لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال ، والمتشبهين من الرجال بالنساء) . وقد مر بك حديث أبي هريرة السابق الذي لعنت فيه المرأة التي تلبس لبسة الرجل .

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنهما عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ قال : (ثلاثة لا يدخلون الجنة أبداً : الديوث ، والرجُلة من النساء ، ومدمن الخمر) قالوا : يارسول الله ، أما مدمن الخمر فقد عرفناه ، فما الديوث ؟ قال : (الذي لا يبالي من دخل على أهله) ، قلنا : فما الرجلة من النساء ؟ قال : (التي تشبَّه بالرجال) رواه الطبراني . ورجلة النساء هي التي

ذكرت في الحديث الذي رواه الإمام الربيع بفحلة النساء .

هذا ، ومما يؤدي إليه فساد خلق المرأة عدم مبالاتها بما يفعله زوجها من شين ومنكر ، فلا تغار من علاقاته مع النساء الأجنبيات ، ولا بحديثه معهن ، وقد يمازحهن أو يضاحكهن وهي لا تنكر شيئًا من ذلك ، وهذه هي الركّاضة التي لا تغار .

وقد غضب الله تعالى على كل هؤلاء ، وغضبه يعني حرمانهم من دخول الجنة ، لأنهم من عوامل فساد المجتمع وفساد أخلاقه وانتشار الفواحش ، فلا يستحقون أن يكونوا من أهل الرحمة الذين يشرفهم الله سبحانه بدخول جنَّتِه والفوز برضوانه .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ عالج الإسلام كل الأمراض التي قد تصيب المجتمع من جراء ابتعاده عن شرع الله .

٢ ــ وعد الله المبدلين للفطرة سوء المنقلب كما أهلك قوم لوط وغيرهم .

٣ ــ لا يقبل الإسلام أن تشيع الفاحشة في المسلمين .

التحذير من النفاق

أبو عبيدة عن أبي هريرة عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال :
(شر الناس ذو الوجهين يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع بن حبيب ـ رحمه الله ـ برقم [٧٢٧] كما أنه متفق عليه مع زيادة في اللفظ .. ورواه الترمذي وأبو داود مع اختلاف في بعض الألفاظ .

المعنى اللغوي :

ـ **شر الناس** : أي أكثر الناس شراً .

ـ **ذو الوجهين** : وهو كثير التلون مع الناس فيأتي هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام آخر .

التحليل :

الإسلام دين الوسطية والاعتدال .. يعتمد على الصراحة والوضوح .. ويربي أتباعه على النهج السوي والطريق المستقيم .. ويغرس فيهم معاني الخير والفضيلة .

وبذلك يكون المسلم إنساناً سليماً في نياته ودخائله .. عفاً في لسانه وأقواله .. مستقيماً في معاملاته وتصرفاته .. مراعياً الله عز وجل في شؤونه كلها .

وبقدر ما يتحلى المسلم بمثال هذه الخلال الفاضلة .. ويلتزم بأخلاق الإسلام وسلوكه .

بقدر ما يبتعد عن النقائص والرذائل التي من شأنها أن تنحرف بسلوكه المستقيم والمتزن .. إلى اتجاهات أخرى تجعله :

ـــ يتخفى تارة تحت أية ذريعة .

ـــ وينافق الآخرين مرة أخرى .

ـــ ويلتوي في موقف ثالث .

وهكذا تتعدد معه المواقف .. ويتحول هذا الاعوجاج النفسي إلى واقع يتعامل به مع الناس .

وبذلك تفسد الحياة .. ويصاب الناس من جراء ذلك بالشر والفتنة والظلم .. وبالانحراف في السلوك والمعاملات مع بعضهم البعض .

ومعلوم أن أخطر ما تصاب به المجتمعات .. أن يبتلى أبناؤها بمثل هذه النقائص . فتجد أن الفرد يتلون في مجتمعه تلوناً غريباً :

ـــ فيأتي لهذا بكلام .. ويأتي للآخر بكلام آخر .

ـــ ويذهب إلى أناس بوجه .. ويواجه غيرهم بوجه آخر غيره وهكذا .. يرائي وينافق ويخادع ويخاتل .. مستعملا قدرته ولباقته في التزيين والإثارة .. مستغلا في ذلك ما يحدث بين الناس من وقائع وأحداث .

ولذلك عبر هذا الحديث عن هذا النوع من الناس .. بقوله (شر الناس ذو الوجهين) . أي أنه أكثر الناس شراً .. ولماذا ؟ لأن عمله هذا فساد يؤدي إلى فساد .. وهو بث الأحقاد والضغائن والعداوات بين الناس بحيث يصبح المجتمع يعيش هكذا .. في خصام وتطاحن وتمزق .

ومن ثم يفقد الناس روح الترابط والمودة والإخاء والتسامح وهذا عكس ما يريده الإسلام لاتباعه .

ومن هنا كان الإسلام ــ ديننا الحنيف ــ حريصا كل الحرص على أن يجنب أتباعه مثل هذه الرذائل .. ويبعدهم ــ في مجال معاملاتهم مع بعضهم البعض ــ عن كل ما يشين حياتهم .. ويكدر صفوهم وينغص معيشتهم ويحول بينهم وبين الأخلاق الكريمة الفاضلة .

ولذلك جاء التوجيه القرآني بقوله :

﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾

(المائدة ــ ٢)

ولقد كان النبي ــ ﷺ ــ يربي أصحابه على هذه الخلال الحميدة وينفرهم من تلك الصفات الذميمة والتي تنشأ من المساوقة .. ونقل الكلام .

فقد جاء من طريق ابن مسعود رضي الله عنه ــ عند أبي داود والترمذي قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ :

(لا يبلغني أحد من أصحابي عن أحد شيئًا .. فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر) .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ الإخبار عن هؤلاء الذين يستعملون أساليب الالتواء والتلون والنفاق .. بأنهم شر الناس .

٢ ــ التحذير الشديد من هذه الظاهرة التي قد يزاولها بعض الناس في المجتمع .

٣ ــ حرص النبي ــ ﷺ ــ على إبعاد الأمة عن كل شر .. ودلالتها على ما فيه الخير والهداية .

المحافظة على الأسرار

أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال : بلغني عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (من روّع مسلماً روّعه الله يوم القيامة ، ومن أفشى سر أخيه أفشى الله سره يوم القيامة على رؤوس الخلائق) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع بين حبيب ـ رحمه الله ـ برقم [٧١١] وهو مما تفرد به الإمام الربيع بهذا اللفظ ، ولكن للجزء الأول منه شواهد عند أبي داود والطبراني والبزار .

المعنى اللغوي :

روّع مسلماً : أخافه .

أفشى السر : أذاعه ولم يكتمه .

التحليل :

أرشد هذا الحديث الشريف إلى أمرين جللين :

أحدهما : النهي عن ترويع المسلم وإدخال الرعب في قلبه . وذلك لأن الإسلام دين السلام ، حفظ لكل الناس كرامتهم وحقوقهم وأمنهم . ودعا إلى كل ذلك بمبادئه السمحة ، وصرامته في الحفاظ على حرمة الإنسان مهما كان . فإنه أوجب حقوقاً للمسلم وغيره ، كالجار غير المسلم والذمي

وغيرهما ممن ينضمون إلى مجتمع المسلمين ، ويرتعون في البلاد الإسلامية . وحتى الحرب التي هي إزهاق للأرواح وإراقة الدماء ، نهى الإسلام أتباعه فيها عن قتل الشيخ الفاني والمرأة والصغير ، والراهب الذي اعتزل للعبادة .

وإذا كان الإسلام يدعو إلى مثل هذه المواقف مع غير المسلمين فإن ما من شأنه ترويع المسلم وإزعاج أمنه واستقراره قد أبعده عن ساحته ونبذه وطرحه . فلا غرو أن نسمع النبي ـــ ﷺ ـــ يقول : (من روّع مسلماً روّعه الله يوم القيامة) لأن الجزاء من جنس العمل ، فإن الذي يروع الآخرين لا يراعي مشاعرهم حين يدخل عليهم الروع . فيجازى بأن يروَّع ويخاف يوم لا يفزع المؤمنون

﴿ وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ (النمل ٨٩)

وفي هذا الجزء من الحديث الكثير من الإرشادات :

١ ـــ إن ترويع المسلم عمل غير إنساني ، بل يفعله من لا شعور له ولا إحساس .

٢ ـــ الحفاظ على أمن المسلمين وغيرهم أمر تفرضه الأخلاق الإنسانية وتسيغه العقول المستنيرة وتخفق به القلوب الحية . فمهما وجدت قوماً دأبوا على ترويع خلق الله واستمرأوا إبادة الشعوب وتدمير ما عمروه ، فاعلم أنهم فقدوا الأخلاق والعقول والقلوب ، ولله معهم في يوم الحساب شأن عظيم .

٣ ــ النهي عن كل شيء سبيله تخويف المسلم واضطراب راحته . ومما يروى من النهي عن مثل هذا ما رواه عبد الرحمن بن أبي ليلى قال : حدثنا أصحاب محمد ــ ﷺ ــ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ــ ﷺ ــ ، فنام رجل منهم ، فانطلق بعضهم إلى حبل معي فأخذوه ففزع ، فقال رسول الله ــ ﷺ ــ : (لا يحل لمسلم أن يروع مسلما) رواه أبو داود .

الأمر الثاني :

النهي عن إفشاء السر ، إذ هو أمر مناف للمروءة وأفعال الرجال ، فإن الذي يودع سره عند صاحبه قد وثق به ثقة تامة ، وهو بإفشائه ذلك السر قد نزع عن نفسه تلك الثقة ، وصار من الذين لا يؤمن منهم في نقل الأخبار كلها مهما عظم خطر إفشائها ، كالغربال الذي لا يمسك الماء . وهذا العَمل ــ إفشاء السر ــ من أخطر الأمراض التي تقطع أواصر المجتمعات وتزلزل العلاقات ، وتزيل ثقة الناس بعضهم ببعض .

وقد كان رسول الله ــ ﷺ ــ يوَرّي في غزواته ولا يخبر أين يتجه خشية بلوغ الخبر القوم الذين يسير إليهم فيستعدوا له وهو يريد أن يفاجئهم . بل كان في بعض الأحيان لا يخبر أقرب الناس إليه . وهكذا كان صحابته عليه السلام من أشد الناس حفاظاً على الأسرار وكتماناً لما يؤتمنون ، سواء كانت الأمانة شيئًا عينيًّا أو خبراً أو غير ذلك مما يود الإنسان أن يحفظه

لدى غيره . وهذا حذيفة بن اليماني صاحب سر رسول الله ـــ ﷺ ـــ أخبره النبي عليه السلام بأسماء المنافقين فلم يخبر بذلك أحداً .

والخير كل الخير أن يحفظ الإنسان سره بين جنبيه فلا يفشيه لأحد إن كان يخاف أن لا يكتمه ، قال عليه الصلاة والسلام : (استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان) . غير أن الإنسان قد تجتاحه عوارض تثير همومه وتثقل كاهله وتملأ صدره بالضيق الشديد فلا يفرّج همه ويسرّي عنه إلا أن يبث حديثه إلى غيره ممن يثق بهم ويأنس بجلوسه معهم ، فالعجب أن يسرع ذلك الشخص إلى إفشاء سر أخيه وإذاعته على الملأ ، أو إلى فرد ينقله إلى غيره ، وهكذا حتى ينتشر .

ومما يدعو إلى العجب العجاب والأسف الشديد أن كثيراً من الناس يأخذون العهود المؤكدة والأيمان الموثقة على كتمان السر وحفظه ثم نجد المؤتمن لا يتحرج أن يخبر به غيره ممن يثق هو بهم ، وهكذا من شخص واثق إلى آخر موثوق به . وهذا مالا يتفق مع سلامة المجتمع وسلامة أفراده وسلامة دينهم . إن أمثال هؤلاء توعدهم رسول الله ـــ ﷺ ـــ بأن يفشي الله أسرارهم على رؤوس الخلائق يوم القيامة جزاءً وفاقاً .

وحسبك في وجوب الحفاظ على الأسرار قوله ـــ ﷺ ـــ فيما رواه عنه جابر بن عبد الله : (إذا حدّث رجل رجلاً

بحديث ثم التفت فهو أمانة) رواه أبو داود والترمذي .

وقد عاتب الله تعالى اثنتين من أمهات المؤمنين في الحادثة التي أفشت فيها واحدة منهما سر النبي ـــ ﷺ ـــ حيث قال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ﴾ (التحريم ٣ ـــ ٤) فتابتا رضي الله عنهما .

هذا ، ومن الأمور الشنيعة التي لا يتورع عنها كثير من طغام الناس وجهالهم أن يفشي الرجل سر زوجه وتفشي هي سر زوجها ، بل قد يفضي الحال إلى أن يذكر كل واحد منهما ما يقع بينهما من أمور الزوجية التي يأبى الدين والعقل والخلق أن يعرفها غيرهما من المخلوقين . قال عليه الصلاة والسلام : (إن من شر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه) رواه مسلم وأبو داود .

وعن أسماء بنت أبي يزيد ، رضي الله عنها ، أنها كانت عند رسول الله ـــ ﷺ ـــ والرجال والنساء قعود عنده ، فقال : (لعل رجلا يقول ما يفعل بأهله ، ولعل امرأة تخبر بما فعلت

مع زوجها) فأرم القوم ، فقلت : إي والله يارسول الله ، إنَّهنَّ ليَقلنَ ، وإنَّهم ليفعلون ، قال : (فلا تفعلوا ، فإنما ذلك مثل الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون) رواه أحمد .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ لا يحل ترويع المسلم ولا ما من شأنه ترويعه .

٢ ــ الأمانة في الإسلام أمر عظيم ، وحق محفوظ ، وإفشاء السر تضييع للأمانة .

٣ ــ إفشاء الأسرار منافٍ للرابطة الإسلامية والأخوة بين المسلمين وسبب للبغضاء والشحناء .

٤ ــ إفشاء الأسرار منافٍ لستر الله على عبده .

٥ ــ الترويع وإفشاء الأسرار جزاؤهما يوم القيامة من جنسهما ، لأن الجزاء من جنس العمل .

الظـلم ظلمـات

الربيع عن أبي مسعود الأنصاري قال : بينما أنا ضارب غلاماً لي بسوط إذ سمعت صوتاً من خلفي (اعلم يا أبا مسعود) فجعلت لا أعقل من الغضب حتى أتاني رسول الله ـ ﷺ ـ ، فلما رأيته سقط السوط من يدي ، فقال : (اعلم يا أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام) ، فقلت : والذي بعثك بالحق ما ضربت عبداً أبداً .أو قال : مملوكا .

الحديث أخرجه الإمام الربيع بن حبيب ـ رحمه الله ـ برقم [٦٨٥] وأخرجه أيضا مسلم مع بعض الاختلاف في الألفاظ .

المعنى اللغـوي :

لا أعقـل : لا أُمَيِّزُ .

ما ضربت عبداً أبداً : لن أضرب عبداً أبداً .

التحليـل :

حرَّم الله سبحانه الظلم ، وشدد في عقاب الظالم فقال جل وعلا :

﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ (غافر ١٨)

وقال سبحانه :

﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾ (الحج ٧١) ،

وقال في الحديث القدسي : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا) رواه مسلم . وجاء نور الهدى ، ونبي الرحمة ليؤكد هذا المعنى فقال ـــ ﷺ ـــ : (اتقوا الظلم ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة) رواه مسلم .

ومن أمعن البصيرة وحكّم العقل في أحكام الإسلام يرى أنها جميعاً جاءت لتحفظ الحقوق وتردها إلى أصحابها ، سواء كانت تلك الحقوق أعراضاً أو أعياناً ، وسواء كانت حقوقاً للنفس أو للغير . ولذلك لا يصح لأحد أن يتعدى على نفسه كما لا يجوز أن يتعدى على غيره ، ومن ظلم النفس وهضم حقها أن يجنبها طريق الاستقامة ويدفعها إلى الولوغ في برك الفساد ، والوقوع في أوحال المعاصي ، ولا يردعها أو يهذبها أو يقودها إلى التوبة والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى .

وفي الحقيقة ، إن كل ما يجترحه الإنسان من مخالفة أو من ظلم تجاه نفسه أو تجاه غيره إنما هو ظلم للنفس ، ذلك لأنه يعرّضها للخطر ، ويقودها إلى العقاب الأليم . لذلك نجد بعض آيات الكتاب العزيز تدل على أن الظالم لنفسه هو من نقصها حقها بمخالفةٍ للشرع أو هضم لحق أو غير ذلك كقوله تعالى : ﴿ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ . (الروم ٩)

والظلم بشتى أنواعه وجميع صوره محرَّم قليله وكثيره ؛ أما ظلم النفس فكل ما يؤدي إلى الإضرار بها أو إزهاقها أو تعريضها للعقاب دنيا أو أخرى . وذلك كقتل الإنسان نفسه بأي وسيلة كانت لقوله تعالى :

﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ (النساء

وكشرب الخمر المؤدي إلى غياب العقل ، وشرب الدخان المؤدي إلى قتل النفس وإن آجلا أو الإضرار البليغ بها ، وارتكاب سائر الفواحش والمنكرات والمعاصي التي يستحق فاعلها العقاب من الله تعالى .

وأما ظلم الغير ، فيكون بالتعدي عليه في نفسه أو عرضه أو ماله ، قال ـــ ﷺ ـــ : (كل المسلم على المسلم حرَام دمه وماله وعرضه) وقال عليه الصلاة والسلام : (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده) رواه الشيخان .

أما التعدي على نفس الغير فيكون بقتلها أو ضربها ونحو ذلك مما يضر بجسده . وأما التعدي على العرض فبانتهاك محارمه ، ومثل الاطلاع على عوراته ، أو سبه وشتمه . وأما التعدي على ماله فمثل اغتصاب أرضه ، وأكل ماله بالباطل سواء بسرقته أو الربا أو باليمين الكاذبة وشهادة الزور وجحد العارية والأمانة والدين ، وأكل مهر الزوجة ، أو بالتحايل عليه وغشه ونحو ذلك .

وكل هذه الأفعال محرمة لا يجوز فعلها ، حرَّمها الله عز وجل ورسوله ـ ﷺ ـ ، قال تعالى :

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ (الإسراء ـ ٣٣)

وقال سبحانه :

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة ١٨٨)

وقال :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء ١٠)

ونحوه من الآيات ، وقال رسول الله ـ ﷺ ـ : (من ظلم قيد شبر من الأرض طُوِّقه من سبع أرضين) متفق عليه ، وقال عليه السلام : (سباب المسلم فسوق وقتاله كفر) ، وكحديث الإمام الربيع عن الغلام الذي جاءه سهم غرب فقتله فقال الناس : هنيئًا له الجنة ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : (لا ، والذي نفسي بيده ، إن الشملة التي أخذها من المغانم يوم خيبر لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه ناراً) ، وقال ـ ﷺ ـ : (أتدرون ما المفلس ؟) قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : (إن المفلس من أمتي مَنْ يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من

حسناته ، وهذا من حسناته فإن فَنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار) رواه مسلم . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (من حلف يميناً على مال امرئ مسلم ليقطعه لقي الله وهو عليه غضبان) رواه الربيع ، وقال عليه الصلاة والسلام : (من اقتطع حق مسلم بيمينه حرّم الله عليه الجنة وأوجب له النار) قال له رجل : وإن كان شيئًا يسيراً يارسول الله ، فقال رسول الله ــ ﷺ ــ : (وإن كان قضيباً من أراك) رواه الإمام الربيع .

وقد كفل الله سبحانه وتعالى حق المظلوم ، وذلك بإيجاب إرجاع حقه ، وتعلق قبول توبة الظالم بإرجاع المظلمة إلى صاحبها ، وقبول دعوة المظلوم كما جاء ذلك عنه ــ ﷺ ــ قال : (واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) فلله كيف يطيق الظلمة دعاء المظلوم وابتهاله لله في ظُلامة ظلمه إياها بغير حق ، كيف يأمنون مكر الله

﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (الأعراف)

كما كّفل حق المظلوم بالاقتصاص من الظالم ، ولو بعد دهر ، قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (إن الله يملي للظالم فإذا أخذه لم يفلته ثم قرأ :

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾)

متفق عليه .

فحريٌ بكل ظالم أن يعلن توبته إلى الله تعالى فيرجع الحقوق إلى أصحابها قبل أن يعض على يديه ويقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً ، وعنه ـــ ﷺ ـــ قال : (من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم) رواه البخاري . ولا يحتقر شيئاً من حقوق العباد فإن الجنة يُحْرَمُهَا الإنسان باقتطاع حق مسلم بغير وجه حق ولو كان شيئاً يسيراً ، حتى إنه ليقتص من الشاة القرناء للشاة الجلحاء يوم القيامة ، قال عليه السلام فيما رواه مسلم : (لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء) نعم ، إنه العدل المطلق ، وإنه الإسلام دين الرحمة والمساواة والعدالة ، لا وجود للقوة إلا قوة الحق ، ولا حكم إلا لله .

وتمثل الحادثة في هذا الحديث صورة من صور التعدي على نفس الغير بالضرب ، لذلك قرع الرسول ـــ ﷺ ـــ أبا مسعود الأنصاري واسمه عقبة بن عمرو الأنصاري وأنبه عليه السلام على ضربه غلامه . وهذا يعني أن ضربه إياه قد جاوز الحد وبلغ به إلى حد الإثم ، ولذلك أنّبه ـــ ﷺ ـــ بأن ذكره بقدرة الله عليه ، وأنه ما جعل له قدرة وسلطة على ذلك الغلام ليظلمه وليتعدى على حقه ، وإنما هو مسخر له

ليستخدمه في أمور الحياة الأخرى فهو يقدم خدمة ومعروفاً يستحقان المجازاة بالإحسان ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾

وإذا كان الإنسان قد تحمله عواطفه ويستثيره غضبه فليس إلى أن يجاوز الحد الشرعي ويفعل ما لا يجوز ، وإذا أجازت الطبيعة البشرية ذلك فإن كفارته سرعة التوبة والندم خصوصاً حين التذكير بآيات الله وقدرته قال تعالى :

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ (الفرقان ٧٣)

وهنا محك الإيمان ، إذ يتبين الإيمان الصادق الصحيح في مثل هذه المواقف حيث تجد الجهلة وضعاف الإيمان لا يحسبون حساباً إذا ذكروا بآيات ربهم وقدرته

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ (البقرة ٢٠٦)

إن قوة إيمان ذلك الجيل من صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ ، وسرعة الاستجابة لقول الحق والانصياع لأمر الله وأمر رسوله ـ ﷺ ـ جعلت أبا مسعود الأنصاري الذي كان لا يعقل من الغضب ينقلب إلى عكس حاله لمجرد تذكير الرسول ـ ﷺ ـ بقدرة الله عليه ويقول حالفا : (والذي بعثك بالحق ما ضربت عبداً أبداً) أي لا أضرب بعد الآن عبداً أبداً . وعبر عن عزمه على الامتناع عن ضرب عبد أبداً بما يشعر بعدم فعله ذلك في الماضي وذلك لسرعة امتثاله

وطلب رضا رسول الله ـ ﷺ ـ ، بعد ما سقط السوط من يده هيبة من رسول الله ـ ﷺ ـ وإجلالاً لقدره ، وإدراكاً لخطئه وعدم جواز ما فعله تجاه الغلام .

ومن توبة أبي مسعود وسرعة امتثاله ما في رواية مسلم أنه قال : هو حر لوجه الله ، وذلك زيادة في طلب الرضا والمغفرة من الله ، إذ قد أتى أمراً محرَّما يؤكده قول الرسول ـ ﷺ ـ له في نفس الرواية (أما لو لم تفعل للفحتك النار) لأن العدل الإلهي يقتضي مجازاة كل شيء بحسبه

﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾ (النساء)

ما يستفاد من الحديث :

١ ـ الظلم ظلمات يوم القيامة .

٢ ـ الظلم يكون قليلا ويكون كثيراً ، لكنه في حق الناس عظيم .

٣ ـ لا يحل لأحد أن يستخدم سلطته فيما لم يبح له الشرع الحنيف .

٤ ـ الصحابة أسرع الناس استجابة لأوامر الله تعالى وأوامر الرسول ﷺ .

فـي القاضي والقضـاء

أبو عبيدة عن جابر بن زيد قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (يأتي القاضي يوم القيامة مغلول اليدين ، إما أن يفك عنه عدله أو يهوي به جوره في النار) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع رحمه الله تعالى برقم [٥٨٩] وأخرج معناه أحمد والدارمي والبيهقي وأبو يعلي الموصلي من طريق أبي هريرة وللحديث شاهد أخرجه ابن ماجه من طريق عبد الله بن عمر .

المعنى اللغـوي :

مغلول اليدين : ممنوعتان من التصرف ، ويجعل الغُل فيهما وهو بضم الغين : الحديدة التي تجمع يدي الأسير إلى عنقه .

يفـك : ينزع القيد والرباط منه .

العـدل : إعطاء كل ذي حق حقه .

يهـوي : يسقط به جوره في النار .

جـوره : ظلمه .

التحليـل :

يعرض النبيُّ ـ ﷺ ـ في هذا الحديث لموضوع القضاء من خلال بيان مصير القاضي وحاله يوم القيامة حيث يأتي

مغلول اليدين ، فإذا شهدت له أعماله الصالحة وعدله بين الناس برئت ذمته وكان من أهل الجنة ، وإذا كشف سجل أعماله عن جوره وظلمه في أحكامه كب في النار .

والحديث يتضمن مسائل ثلاث هي :

١ ــ أهمية القضاء والحاجة إليه .

٢ ــ العدل في القضاء وأثره .

٣ ــ الظلم في القضاء وأثره .

١ ــ أهمية القضاء والحاجة إليه :

المجتمع الإسلامي كغيره من المجتمعات قد تتضارب فيه مصالح الناس سواء عن قصد أو غير قصد فتنشأ المنازعات والخصومات فيحتاجون للفصل بين المتخاصمين حسما للتداعي وقطعا للتنازع ، بما يكفل حق الجميع عن طريق القضاء . فالقضاء إذاً ضرورة اجتماعية لا غنى عنها لاستقرار الأمة وتوفير أسباب الحياة الآمنة للرعية . من هنا كان القضاء إحدى وظائف الأنبياء الكرام قال تعالى :

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾ (ص ــ ٢٦)

وخاطب نبيه محمدا ــ ﷺ ــ بقوله : ﴿ فَٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ (المائدة ــ ٤٨)

وقد تولى الرسول ــ ﷺ ــ هذه المهمة وقام بها خير قيام وكلف بعض الصحابة بالقضاء بين المتخاصمين وقام خلفاؤه من بعده بهذا الأمر وعينوا القضاة في الآفاق .

إن الحكم بين الناس مسؤولية ذات شأن عظيم رعاها الإسلام حق رعايتها ، فضبط حدودها ، وجعل القضاء يقوم على العدل وأمر به ونهى عن الجور فيه فهو فتنة لمن تولاه ؛ وإلى هذا يشير قول النبي ــ ﷺ ــ في الحديث الذي أخرجه الإمام الربيع رحمه الله وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد (من حكم بين اثنين فكأنما ذبح نفسه بغير سكين) .

٢ ــ العدل في القضاء :

لا يكون للقضاء دور في حياة الناس حتى يقوم على العدل الذي رفع الله من شأنه فجعله من علامات الإيمان والتقوى فخاطب به المؤمنين في قوله عز وجل : .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ (المائدة ــ ٨)

فليس أصعب على من ابتلي بالقضاء من العدل بين

المتخاصمين ، وإعطاء كل ذي حق حقه ، وفق ما بينه الشرع الشريف ، متحريا أسباب العدل ، ملتزما بأحكام الله بقطع النظر عمن يكون له الحق أو عليه ، مجاهدا نفسه ومقاوما إغراءات الشيطان ووساوسه .

إن القاضي المؤمن بالله المتقي محارمه هو وحده القادر على أن يتغلب على موانع العدل وعوائقه لأنه يشعر بمسؤوليته العظيمة كاملة ، ويدرك خطورة ما يقوم به ، فيحكم بما أنزل الله ولا يرضى عنه بديلا ؛ فقد حذر المولى عز وجل أيما تحذير من الحكم بغير ما أنزل الله سبحانه وتعالى فقال :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

(المائدة ـــ ٤٤)

وقال :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾

(المائدة ـــ ٤٥)

وقال :

﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾

(المائدة ـــ ٤٧)

ويقول سبحانه وتعالى مخاطبا نبيه ـــ ﷺ ـــ :

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (المائدة ــ ٤٩)

ولا يكون القاضي حاكما بما أنزل الله حتى يصدر في حكمه عن كتاب الله وسنة رسوله ــ ﷺ ــ أو إجماع المسلمين فإن لم يجد اجتهد رأيه وفق المبادئ العامة ومقاصد الشريعة الإسلامية ، سالكا في ذلك مسلك معاذ بن جبل رضي الله عنه حين بعثه رسول الله ــ ﷺ ــ إلى اليمن فعن شعبة قال حدثني أبو عون عن الحارث بن عمرو عن أناس من أصحاب معاذ عن معاذ أن رسول الله ــ ﷺ ــ لما بعثه إلى اليمن قال : (كيف تصنع إن عرض لك قضاء) ؟ قال : أقضي بما في كتاب الله قال : (فإن لم يكن في كتاب الله) ؟ (فبسنة رسول الله ــ ﷺ ــ) قال : (فإن لم يكن في سنة رسول الله ــ ﷺ ــ) ؟ (أجتهد رأيي ولا آلو) .

ومن أسباب العدل المساواة في معاملة الخصوم في المجلس والنظر والسماع . فعن النبي ــ ﷺ ــ أنه قال : (إذا تقاضى إليك رجلان فلا تقض للأول حتى تسمع كلام الآخر فسوف ترى كيف تقضي) .

فالمتهم في الأصل بريء حتى تثبت إدانته ، والعدل

حق للجميع فلا اعتبار للون أو لجنس أو لغنى أو لمنصب فالله تعالى يقول :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ﴾ (النساء ــ ٥٨)

أي عموم الناس بلا تمييز .

ومن عدالة القاضي أن يتغلب على هوى النفس وجموح العاطفة يقول عز من قائل :

﴿ .. وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ .. ﴾ (المائدة ــ ٨)

ومنها أيضا التروي في إصدار الحكم وحسن الإستماع إلى المتخاصمين ، والتحلي بضبط النفس والذكاء والفطنة .

هذا بعض ما يسهم في تحقيق العدل الذي يجعل المتخاصمين المحكوم له والمحكوم عليه راضيين بما يصدره القاضي من حكم معتقدين وجوب الانقياد لحكم الله مستسلمين لما انتهى إليه اجتهاد القاضي ونظره ، وبهذا تزول أسباب الحقد والضغينة .

إن هذا العمل الصعب وهذا التكليف الشاق لا يقدر أن يقوم به إلا من آثر ما عند الله عما يفنى من حطام الدنيا ، فأخلص لله فيه .

إن القضاء أمانة ، ويأتي القاضي يوم القيامة كما جاء في الحديث مسؤولا عن حقوق الناس وعما نتج عن قضائه من آثار ، إلا أن هذا لا يسمح بالتهرب من القضاء إذ هو حق واجب على القادرين عليه من ذوي الكفاءة إن لم يوجد سواهم .

والقاضي إذا عدل وكان من المقسطين فُكّ رباط يديه ورضي الله عنه ، وأدخل الجنة ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ (آل عمران ١٨٥)

وكان هو القاضي الذي عناه رسول الله ـــ ﷺ ـــ في حديثه : (القضاة ثلاثة ..) منهم (قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة). وهو الذي وعده الرسول الكريم بأن يفك عدله يديه المغلولتين لأنه أدى الأمانة ونصح للأمة .

٣ ـــ الجور في القضاء :

القاضي الجائر هو الصنف الثاني الذي ذكره رسول الله ـــ ﷺ ـــ في حديثه وهو الذي يهوى به بغيه وظلمه في النار) وجاء في رواية البزار يهوى به (سبعين خريفا) وعند ابن ماجه (أربعين خريفا) وذلك كناية عن طول العذاب وشدته .

وقد وردت أحاديث عدة تؤكد هذا المعنى وتحذر

القاضي من الجور منها :

ما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه وغيرهم عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي ـ ﷺ ـ قال : (القضاة ثلاثة ، واحد في الجنة واثنان في النار ، فأما الذي في الجنة فرجل عرف الحق فقضى به ، ورجل عرف الحق فجار في الحكم فهو في النار ، ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار) .

إن الظلم يهدم أركان الأمة ، ويفقد الرعية الثقة في القضاء ، ولا يأمن الناس على الأنفس والمال حين يستسلم القاضي لسيطرة القوي ، فيشعر الضعيف بالظلم والحيف فيستكين حينا ثم يثور وتكون الفتنة التي هي أشد من القتل ، ومن هنا يدخل القاضي الظالم في عموم قوله عليه الصلاة والسلام (إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته) ثم قرأ :

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .

وهو يدخل أيضا في عموم قوله علية السلام (من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما .

إن الجور في القضاء ليس له حد ، فكل أشكال الظلم وعدم إعطاء الناس حقوقهم اعتداء وجور ، وتولّي غير الكفء منصب القضاء ، وحكمه بين المتنازعين عن جهل جور ، وكذلك الحكم بغير ما أنزل الله والاستسلام للهوى ، وإرضاء الحكام الظلمة ، وقبول الرشا ونحوها ظلم وجور أيضا ، وقد وردت في ذلك النواهي ــ صريحة وضمنية ــ منها :

ما أخرجه الإمام الربيع رحمه الله والطبراني وأبو يعلي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : (الرشوة في الحكم كفر) .

ومنها ما أخرجه أبو داود والترمذي وابن ماجه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : (لعن رسول الله ــ ﷺ ــ (الراشي والمرتشي) وفي رواية ثوبان عند أحمد والطبراني (لعن الله الراشي والمرتشي ، والرائش بينهما) .

ومن ذلك أيضا قوله عليه الصلاة والسلام في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، عن النبي ــ ﷺ ــ قال : (الظلم ظلمات يوم القيامة) .

وإذا كان القاضي هذا شأنه ؛ فإنه جدير بذلك

الوعيد الشديد الوارد في الحديث ، ومن العدل أن يقذف به في نار جهنم ، وأن يجانبه توفيق الله وإرشاده كما جاء ذلك في حديث عبد الله بن أبي أوفى عند الترمذي قال : قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ : (إن الله مع القاضي مالم يجر فإذا جار تخلى عنه ولزمه الشيطان ، ومن كان له الشيطان قرينا فساء قرينا وغضب الله عليه ولعنه) .

ما يستفاد من الحديث :

١ ـــ القضاء ضرورة اجتماعية لا غنى عنها .

٢ ـــ القضاء إما طريق إلى جنة النعيم وإما طريق إلى نار الجحيم .

٣ ـــ العدل في القضاء من أسباب العمران والمدنية .

٤ ـــ القضاء أمانة محفوفة بالمخاطر .

٥ ـــ في الهروب من القضاء ترك لواجب شرعي لمن كان قادرا عليه غير موجود سواه .

في فضل الصلح بين المتخاصمين

أبو عبيدة قال : بلغني عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (الصلح خير الأحكام ..) أو قال (سيد الأحكام) وهو جائز بين الناس ، إلا صلحا أحلَ حراماً ، أو حرَّم حلالا ، وهو أحرز للحاكم من الإثم والجور .

الحديث أخرجه الإمام الربيع بن حبيب في مسنده برقم [٥٩٦] ، وأخرجه أيضا أبو داود والترمذي وابن ماجة والحاكم وابن حبان .

المعنى اللغوي :

الصلح : قطع المنازعة بين المتخاصمين .

خير الأحكام : أفعل تفضيل ، بمعنى أفضلها .

سيد الأحكام : أشرف وأفضل الأحكام .

أحرز : أسلم وأحوط .

الإثم : الذنب .

الجور : مجاوزة الحد في التعدي والظلم .

التحليل :

الصلح بين الناس في الخصومات والمنازعات عمل مشروع ومرغب فيه ومندوب إليه في الإسلام ؛ لأنه يؤدي إلى قطع

هذه الخصومات والنزاعات ويعمل على الوفاق والتراضي بين المتخاصمين ، ويقضي على البغضاء والعداوات التي يسببها النزاع .

فهو عامل مهم من عوامل الوفاق والاتفاق ولذلك جاء في القرآن الكريم قوله تعالى :

﴿وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ (النساء الآية ــ ١٢٨)

وذلك في معرض ذكر الصلح بين الزوجين ، وجاء لفظ الخيرية فيها عاما ، مما يفيد أن الصلح خير على الإطلاق ، فهو خير من الفرقة . وخير من الخصومة وخير من النزاع .. الخ .

وجاء في آية أخرى قوله عز وجل :

﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ..﴾

(الحجرات الآية ــ ٩)

ويروى عن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ قوله : «ردوا الخصوم حتى يصطلحوا ، فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن) .

وهنالك نصوص كثيرة في القرآن الكريم وفي السنة المطهرة تدعوا إلى الصلح وتحث عليه في مجالات متعددة حتى أن الشرع اعتبر أن إدخال الكلام من قبل الساعي بالصلح بين المتخاصمين ؛ إذا كان بقصد الصلح وفعل الخير ، مما يسوغ للمصلح ذكره ولو كان ذلك كذبا .

كما جاء في حديث أم كلثوم بنت عقبه بن أبي معيط ـــ عند أبي داود ـــ قوله ـــ ﷺ ـــ : (ليس بالكاذب من أصلح بين الناس فقال خيراً أو نمى خيراً) .

أي بلّغ الحديث على وجه الإصلاح ، ويكفي أن في الإصلاح العديد من الخصال التي تعود بالخير على أكثر من جهة :

١ ـــ ففيه مثلا سلامة القاضي من الجور ، وإبعاده عن مواطن الشبهات (فهو أحرز للحاكم من الإثم والجور) .

٢ ـــ وفيه سلامة الشاهدين أو الشهود عن الوقوع في تزوير الشهادة ، أو الميل إلى أحد المتخاصمين .

٣ ـــ وفيه سلامة المزكى من تزكية بعض أهل الظلم ، ومن لا يستحقون التزكية .

٤ ـــ وفيه بركة وخير وشفاعة الثواب لكل من يقوم بالصلح ويسعى إليه .

ولكن لابد في حال إجراء الصلح بين المتخاصمين من أن يكون هذا الصلح في حدود ما أحله الله ، أي في الأمور المباحة التي يمكن إجراء الصلح فيها وأن لا يكون في الأمور المحرمة شرعا كما نص عليه الحديث الشريف في قوله عليه السلام :

(.. إلا صلحا أحل حراماً .. أو حرّم حلالاً)

فالأول كما إذا كان لرجل على آخر دين وطالبه به فصالحه على أن يؤخر عنه ويزيده على دراهمه فهذا صلح أحل حراما وهو باطل لأنه ربا .

وأما الصلح الذي حرم حلالا فكالذي يصالح امرأته على أن لا يطأ ضرتها ــ زوجته الأخرى ــ فإن هذا من الصلح الذي يحرم ما أحله الله .

والمهم أنه لابد من أن يكون الصلح في شيء يجوز الصلح فيه . لأن الغرض من الصلح الرأفة والرحمة فإذا كان الصلح على شيء غير جائز شرعا فأتت المصلحة التي يراد تحقيقها من ذلك .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ يدل الحديث على أفضلية الصلح في حال الخصومة والنزاع بدلا من اللجوء إلى قطع النزاع عن طريق الاحتكام إلى القضاء .

٢ ــ إبعاد الناس عن المواطن التي تثير الأحقاد والعداوات بينهم .

٣ ــ العمل على تقوية روابط الأخوة والمودة والمحبة بين أفراد المجتمع المسلم نتيجة الصلح بينهم في حال نشوب الخصومة .

مال الرجل أجر له أو ستر أو وزر

أبو عبيدة بن جابر عن زيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (الخيل لرجل أجر ولرجل ستر وعلى رجل وزر فأما التي هي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال لها في مرج أو روضة فما أصابت في طيلها ذلك من المرج أو الروضة كان له حسنات ولو أنها قطعت طيلها ذلك فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن تشرب منه كان له ذلك حسنات فهي له أجر . ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا في ظهورها فهي له ستر . ورجل ربطها فخرا ورياء ونواء لأهل الإسلام فهي على ذلك وزر) قال الربيع أطال لها إذا ربطها بحبل في مرج فأطال لها حتى تتمكن من الرعي فاستنت أي مرحت تجري ولم ينس حق الله أي لم يترك حق الله ونواء لأهل الإسلام أي عداوة لأهل الإسلام .

الحديث أخرجه الإمام الربيع رحمه الله برقم [٤٦٣] وأخرجه أيضا البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة ومالك في الموطأ وأحمد في مسنده وأبو داود الطيالسي .

المعنى اللغـوي :

ولرجـل سـتر : أي ساتر لفقره ولحاله بما يحصل له من أجرتها ممن يركبها أو من بيع نتاجها أو نحو ذلك .

ربطها في سبيل الله : أعدها للجهاد وأصله من الربط ، ومنه الرباط وهو حبس الرجل نفسه في الثغور وإعداده الأهبة لذلك .

فأطـال لهـا : الحبل الذي ربطها فيه حتى تسرح للرعي .

المَـرْج : موضع الكلأ وأكثر ما يطلق على الموضع المطمئن .

الرَّوْضَـة : موضع الكلأ أيضا وأكثر ما يطلق على الموضع المرتفع .

فما أصابت : أكلت وشربت ومشت .

طِيَلهـا : حبلها الذي تربط به ويقال له طُوَل أيضا .

فاسْتَنَّت : جرت بنشاط .

شَرفا أو شَرفَين : شوطا أو شوطين ، وسمي به لأن العادي يشرف على ما يتوجه إليه ، والشرف العالي من الأرض .

تغنيـا : استغناء عن الناس تقول تغنيت بما رزقني الله تغنيا وتغانيت تغانيًا ، واستغنيت استغناء . كلها بمعنى . وفي الحديث عن رسول الله ـ ﷺ ـ (ليس منا لم يتغن بالقرآن) .

تعففـا : أي عن السؤال .

ربطها فخراً ورياءً ونواءً لأهل الإسلام : أي لأجل الفخر والرياء .. والنصب على التعليل .

والفخـــر : هو التعاظم بنشر المناقب .

والريـــاء : إظهار الطاعة وهو في الباطن بخلاف ذلك .

النِّـــواء : العـداوة .

والواو هنا بمعنى أو لأن هذه الأشياء قد تنفرد في الأشخاص وكل واحد منها مذموم على حدته .

التحليـــل :

يقسم النبي ـــ ﷺ ـــ في هذا الحديث الشريف اقتناء الخيل إلى ثلاثة أقسام :

فهي لرجل أجر ، ولآخر ستر ، وعلى ثالث وزر ، وبين عليه الصلاة والسلام لمن تكون أجرا ولمن تكون سترا وعلى من تكون وزرًا .

فالأول : من ربطها في سبيل الله وأعدها للجهاد فيه ، ذلك لأن الأمة الإسلامية أمة دعوة وجهاد فهي مكلفة بإخضاع العالم لسلطان الله ومكلفة بإخضاع أفرادها لسلطان الله أيضا . ولا يصح للدولة المسلمة أن تتقاعس عن أداء هذين الواجبين ، ومن هنا يجب عليها أن تعد العدة الكاملة لذلك في حدود استطاعتها وإمكانيتها حتى تضمن صد الغزو الخارجي وحماية نظامها من انشقاقات داخلية وحتى تتمكن أيضا من

نشر دين الله تعالى وتوسيع حوزة المسلمين . وقد أمرنا سبحانه وتعالى بإعداد العدة لذلك فقال :

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾

(الأنفال ـــ ٦٠)

ففي هذه الآية الكريمة يأمرنا سبحانه وتعالى بأن نعد كل ما يمكن تصوره من عدة حرب «فمن» في الآية الكريمة لبيان الجنس وبهذا يكون الأمر شاملا لكل ما من شأنه أن يرهب عدو الله .

وقد فسر عليه الصلاة والسلام القوة بالرمي ففي صحيح مسلم وغيره عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله ـــ ﷺ ـــ وهو على المنبر يقول :(﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ ألا إن القوة الرمي ..ألا إن القوة الرمي .. ألا إن القوة الرمي) فالقوة التي فسرها الرسول ـــ ﷺ ـــ تشمل السهام عندما تكون سهام وتشمل المدافع والصواريخ والقذائف والقنابل وغيرها فكل هذه الأنواع داخله تحت كلمة (مِنْ) التي هي لبيان الجنس .

كما أمرتنا الآية الكريمة بأن نعد جنس ما يربط ويركب للمعركة كالخيل ويشمل ذلك كل أنواع الآليات التي تستعمل كأدوات ركوب في الحرب فدخل في ذلك البوارج

والغواصات والطائرات والدبابات والمدرعات إلى غير ذلك من أنواع الآليات التي تركب في الحرب .

وهذا من إعجاز القرآن الكريم أن يكون الأمر في الآية الكريمة صالحا وشاملا كل زمان ومكان .

ولما كانت الخيل في عصره ـــ ﷺ ـــ أفضل ما يركب للجهاد في سبيل الله فقد اهتم بها ـــ ﷺ ـــ اهتماما كبيرا .

فعن أنس ـــ عند النسائي وأحمد ـــ قال : (لم يكن شيء أحب إلى رسول ـــ ﷺ ـــ بعد النساء من الخيل) ، وأمر ـــ ﷺ ـــ بارتباط الخيل وتعهدها وتفقد حالها استعدادا لإعلاء كلمة الله والدفاع عن المسلمين ففي الحديث الذي أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد عن أبي وهب الجشمي قال : قال رسول الله ـــ ﷺ ـــ : (تسموا بأسماء الأنبياء وأحب الأسماء إلى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن وارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأكفالها وقلدوها ولا تقلدوها الأوتار وعليكم بكل كميت أغر محجل أو أشقر أغر محجل أو أدهم أغر محجل) . قيل ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام (قلدوها) أي قلدوها طلب إعلاء الدين والدفاع عن المسلمين واقصدوا بها الخير واجعلوا ذلك لازما لها في أعناقها لزوم القلائد للأعناق .

ومعنى قوله عليه الصلاة والسلام (ولا تقلدوها الأوتار) أي

لا تقلدوها طلب أوتار الجاهلية ودماءها التي كانت بينكم فعلى هذا فالأوتار جمع وِتر بالكسر وهو الدم وطلب الثأر . وقيل غير ذلك .

وأخبر ــ ﷺ ــ أن من ربط فرسا قاصدا بذلك وجه الله تعالى راغبا فيما أعده له سبحانه وتعالى من ثواب فإن شبعه وريَّه وروثه وبوله يكون في ميزان حسناته يوم القيامة . ففي الحديث الذي أخرجه البخاري والنسائي وابن ماجه ومالك وأحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (من احتبس فرسا في سبيل الله إيمانا بالله وتصديقا بوعده فإن شبعه وريَّه وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة) .

وأخرج أحمد في مسنده وابن ماجه في سننه أن روح بن زنباع زار تميما الداري فوجده ينقي شعيرا لفرسه قال وحوله أهله فقال له روح : (أما كان في هؤلاء من يكفيك) قال تميم : (بلى) ولكن سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول : (ما من أمرئ مسلم ينقي لفرسه شعيرا ثم يعلفه عليه إلاَّ كتب له بكل حبة حسنة) .

إن حسن النية وصفاء الطوية جعلتا الأجر يكتب لصاحب النوع الأول من الخيل من حيث لا يحتسب فلو أن خيله جرى هنا أو هناك فإن كل حركاته وإفرازاته تعد في ميزان صاحبه

يوم القيامة ، و لم يقف الأمر عند هذا الحد بل إذا شرب هذا الخيل ماء من بئر أو غيره وصاحبه لا يريد ذلك إما لأن ذلك الوقت لا ينتفع بشربه فيه أو لأن ذلك الماء ماء الغير فتشرب منه بغير إذنهم ، فيغتم صاحبها لذلك فيؤجر عليه .

القسم الثاني : من الخيل هي التي تكون لصاحبها سترا وذلك فيما إذا اقتناها الإنسان لأجل الاكتساب منها سواء أكان ذلك عن طريق تأجيرها على من يريد ركوبها لقضاء حوائجه أم عن طريق بيع أولادها وهو مع هذا لم ينس حق الله فيها وهو ما عبر عنه ـــ ﷺ ـــ بقوله : (ورجل ربطها تغنيا وتعففا ..) ذلك لأن الإسلام يحث على العمل والكسب ويحرم السؤال ويندد بالذين هم عَالة على المجتمع ولو كان سبب ذلك الانقطاع لعبادة الله تعالى ، فليس في الإسلام ما يدعو الناس إلى الفقر والفاقة بل على النقيض تماما فالله تعالى يقول في كتابه العزيز :

﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ (النساء ـــ ٥)

حيث ينهى الله تعالى عن تمكين السفهاء من التصرف في الأموال التي جعلها سبحانه وتعالى قياما للحياة البشرية لأن سوء تصرفهم فيها ينعكس أثره على المجتمع كما أن حسن التصرف فيها واستثمارها يعود بالخير على المجتمع .

وقد نهى ــ ﷺ ــ عن إضاعة المال في غير وجهه ، ومدح ــ ﷺ ــ المال الحلال إذا كان في يد رجل صالح ففي الحديث الذي أخرجه البخاري في الأدب المفرد وأحمد وابن حبان والحاكم عن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (نعم المال الصالح للرجل الصالح) .

وأخبر عليه الصلاة والسلام أن خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى فعن أبي هريرة ــ عند البخاري ومسلم ــ قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (خير الصدقة ما كان عن ظهر غنى وابدأ بمن تعول) .

وحذر ــ ﷺ ــ من أن يضيع الإنسان من يعولهم بسبب تكاسله وعدم أخذه بأسباب الرزق . ففي الحديث الذي أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (كفى بالمرء إثما أن يضيع من يقوت) .

إن العمل من سنن الأنبياء والمرسلين وهو نوع من العبادة وأفضل الكسب ما كان من عمل اليد يقول عليه الصلاة والسلام : (ما أكل أحد طعاما قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده) أخرجه البخاري ومسلم .

إن الإسلام يحارب البطالة وتكفف الناس وعدم السعي في

كسب الرزق . فالمسلم ليس ممن يقبلون العيش على فتات موائد الأغنياء ويريق ماء وجهه بمد يده لترجع خالية أو ملأى ومن هنا جاءت كثير من النواهي عن النبي ـ ﷺ ـ بالمنع عن مسألة الناس . فعن عبد الله بن عمر ـ عند البخاري ومسلم ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم) .

وعن ثوبان مولى رسول الله ـ ﷺ ـ ـ عند أبي داود وأحمد ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (من تكفل لي أن لا يسأل الناس شيئا أتكفل له بالجنة) .

وعن الزبير بن العوام عن النبي ﷺ ـ عند البخاري ومسلم ـ قال : (لأن يأخذ أحدكم حبله فيأتي بحزمة الحطب على ظهره فيبيعها فيكف الله بها وجهه خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه) .

القسم الثالث : من الخيل هي التي تكون على صاحبها وزرا ، وذلك فيما إذا اقتناها الإنسان لأجل الفخر أو الرياء أو العداوة لأهل الإسلام . وليست هذه المقاصد الثلاثة هي التي تجعل من الخيل وزرا على أصحابها بل هناك أمور كثيرة تجعلها نقمة ووبالا عليهم ، وذكر هذه العلل الثلاثة لا يراد به الحصر . ومما يدل على ذلك حديث ابن مسعود ـ عند أحمد

والبيهقي ــ قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (الخيل ثلاثة فرس للرحمن وفرس للإنسان وفرس للشيطان .. وأما فرس الشيطان فالذي يقامر ويراهن عليه) .

عن أسماء بنت يزيد ــ عند أحمد ــ أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : (الخيل في نواصيها الخير معقود أبدا إلى يوم القيامة فمن إرتبطها عدة في سبيل الله وأنفق عليها إحتسابا في سبيل الله فإن شبعها وريَّها وظمأها وأرواثها وأبوالها فلاح في موازينه يوم القيامة ومن إرتبطها رياء وسمعة وفر ومرحا فإن شبعها وجوعها وريَّها وأرواثها وأبوالها خسران في موازينه يوم القيامة .

وإنما ذكر ــ ﷺ ــ هذه الثلاثة : الفخر ــ الرياء ــ العداوة لأهل الإسلام ــ لأن أغلب ما تنطوي عليه النفوس المريضة هي هذه لأن هذه الكبائر الثلاث أصل يتفرع عنه كثير من المعاصي .

ــ فالفخر كبيرة من كبائر الذنوب ، حذر الله منها ورسوله ــ ﷺ ــ فقال تعالى :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (لقمان ١٨)

وقال تعالى :

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص ٨٣)

والفخر هو تعظيم الإنسان نفسه عن الناس بمنزلته في فعله أو غيره . وقيل الفخر التطاول على الناس بتعديد المناقب ، وهو مسبب عن الكبر لأن الإنسان إذا استعظم قدره تعزز وافتخر واستطال .

ـــ أما الرياء فهو الداء العظيم والخطر الجسيم وهو أعظم شبكة للشيطان يصطاد بها قلوب بني آدم وقد ذمه الله ورسوله وحذرا منه وبينا عاقبة المرائين فقال سبحانه وتعالى :

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ۝٤ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝٧﴾ (الماعون)

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وَالَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾ (النساء ٣٨)

وقال سبحانه وتعالى أيضا :

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (الكهف ١١٠)

وقد مدح الله المخلصين بنفي كل إرادة سوى وجه الله فقال تعالى :

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ (الإنسان ٩)

ــ ومن هنا كان الرياء محبطا للعمل كما يحبطه الشرك ففي الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام الربيع ــ رحمه الله ــ قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (الرياء يحبط العمل كما يحبطه الشرك) .

وعن أبي هريرة ــ عند الإمام الربيع ومسلم وغيرهما ــ قال : سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول : يقول الله تبارك وتعالى : (من عمل عَمَلاً أشرك فيه غيري فهو له كله وأنا أغنى الشركاء عن الشرك) .

وعن ابن عمر رضي الله عنه ــ عند البخاري ومسلم ــ قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ : (من راءى راءى الله به ومن سمع سمع الله به) .

وسمى الرسول ــ ﷺ ــ الرياء الشرك الأصغر ففي الحديث الذي أخرجه أحمد والبيهقي في شعب الإيمان والطبراني قال رسول ــ ﷺ ــ : (إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر) قالوا وما الشرك الأصغر يارسول الله ؟ قال : الرياء وروى الحاكم وابن ماجة والبيهقي في الشعب عن رسول الله ــ ﷺ ــ قال : (إن أخوف ما أخاف على أمتي الرياء والشهوة الخفية) .

ولما كان الرياء بهذا الحال فقد بسط علماء الإسلام فيه المقال وبينوا سببه وحقيقته والحذر منه وطرق معالجته فعليك ــ أخي الكريم ــ بالاطلاع على ذلك لا سيما ما كتبه العلامة الشيخ اسماعيل الجيطالي في كتابه القيم «قناطر الخيرات» والإمام القطب في «شرحه على النيل» الجزء السادس عشر منه والعلامة الغزالي في «احياء علوم الدين» .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ الخيل ممدوحة إن ربطت لوجه الله تعالى فقط .

٢ ــ مدار قبول الأعمال الصالحة على طهارة القلوب ومراعاة علام الغيوب .

٣ ــ كل ما يملكه الإنسان من مال حلال قد يكون له أجرا أو سترا أو يكون عليه وزراً باختلاف النيات والمقاصد .

ذل السـؤال

ـ أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (والذي نفسي بيده ليأخذ أحدكم حبلا فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلا آتاه الله من فضله فيسأله أعطاه أو منعه) .

الحديث أخرجه الامام الربيع بن حبيب ـ رحمه الله ـ برقم [٣٥٨] وأخرجه أيضا البخاري ومسلم وأحمد بألفاظ مختلفة ولكنها تتفق مع لفظ هذا الحديث في المعنى .

المعنى الغـوي :

ـ **والذي نفسي بيده** : أي هو المتصرف فيها .. وهذا قسم يقصد به تأكيد المعنى في نفس السامع .. لأنه قسم على شيء مقطوع بصدقه .

ـ **ليأخذ أحدكم** : لأن يأخذ بحذف أن المصدرية .

ـ **فيحتطب على ظهره** : أي يجمع الحطب ويحمله على ظهره .

ـ **خيـر لـه** : ليس بمعنى أفضل التفضيل إذ لا خير في المسألة .

ـ **يسـأله** : يطلب منه عطاءً .

التحليـــل :

في هذا الحديث الشريف توجيه نبوي كريم إلى السعي والعمل ، وإلى الكسب والاحتراف ، وإلى الحث على التعفف ، والابتعاد عن المسألة .. ولو أدى ذلك إلى تحمل المشقة والتعب وإرهاق النفس في سبيل طلب الرزق .

وقد تضافرت الأدلة من القرآن والسنة وهي تحث المسلم على السعي في الأرض .

يقول سبحانه وتعالى :

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ .. ﴾ (الجمعة ـــ ١٠)

ويقول أيضا :

﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (الملك ـــ ١٥)

وفي الحديث من طريق المقداد عن النبي ـــ ﷺ ـــ قال : (ما أكل أحد طعاماً قط خير من أن يأكل من عمل يده ، وأن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده) البخاري .

وكان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يقول : «إني لأرى الرجل فيعجبني فأقول : هل له من حرفة : فإذا قالوا : لا سقط من عيني» .

وكان النبي ـــ ﷺ ـــ يحث على البكور في طلب الرزق

ويقول : (اللهم بارك لأمتي في بكورها) الترمذي .

كما تواردت النصوص أيضا في التنفير من المسألة وذم السؤال :

ومما جاء في هذا الباب حديث مسلم من رواية قَبيصَةَ بن مخارق قال : تحملت حمالة فأتيت رسول الله ـــ ﷺ ـــ أسأله فيها . فقال : أقم حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها . ثم قال : يا قبيصة إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة .

ـــ رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك .

ـــ ورجل أصابته جائحه اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قواما من عيش أو قال : سدادا من عيش .

ـــ ورجل أصابته فاقة حتى يقوم ثلاثة من أهل الحجا من قومه : لقد أصابت فلاناً فاقة فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش أو قال : سداداً من عيش . فما سواهن من المسألة ـــ يا قبيصة ـــ سحتاً يأكلها صاحبها سحتا .

وحديث أحمد وأبي داود من طريق أنس عن النبي ـــ ﷺ ـــ أنه قال : (المسألة لا تحل إلا لثلاثة ـــ لذي فقر مدقع ـــ أو لذي غرم مفضع ، أو لذي دم موجع) .

وهنالك أيضا حديث ابن عمر عند البخاري ومسلم .. أن النبي ـــ ﷺ ـــ قال : (لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم) .

وحديث عبد الرحمن بن عوف عند الترمذي وغيره (لا يفتح عبد باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر) .

وحديث أبي هريرة عند مسلم قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (من سأل الناس تكثرا فإنما يسأل جمرا) .

وحديث حكيم بن حزام ـ في البخاري ومسلم (اليد العليا خير من اليد السفلى) .

واليد العليا هي المعطية ، والسفلى هي الآخذة وكفى بهذا تمقيتًا وتنفيراً من المسألة .

ما يستفاد من الحديث :

١ ـ الحث على السعي وطلب الرزق والكسب الحلال .

٢ ـ التنفير من سؤال الناس وذم المسألة .

٣ ـ سؤال الناس فيه ذل وخنوع وامتهان لكرامة المسلم .

٤ ـ الدعوة إلى الاعتماد على النفس وبذل الجهد والتوكل على الله .

٥ ـ حرص الإسلام على تربية المسلم على الشهامة ، والمحافظة على كرامته ، والابتعاد عن كل ما يخدش عرضه أو يمس مكانته .

الوصية في الثلث

أبو عبيدة عن جابر عن زيد عن سعد بن أبي وقاص قال جاءني رسول الله ـ ﷺ ـ عام حجة الوداع يعودني من وجع اشتدَّ بي فقلت يارسول الله قد بلغ بي من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثني إلا بنية لي أفأتصدق بثلثي مالي . قال : فقال : لا قال : قلت فبالشطر قال : لا قال : قلت فبالثلث قال : (نعم والثلث كثير ، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ، وإنك لن تنفق نفقة تريد بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في امرأتك) فقلت يارسول الله أأخلف بعد أصحابي فقال : (إنك لن تخلف فتعمل عملا صالحا إلا ازددت به درجة ورفعة ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون اللهم أمض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم) لكن البائس سعد بن خولة يرثي له رسول الله ـ ﷺ ـ أن مات بمكة . قال الربيع معنى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون إنه لما أُمِّر سعد على العراق قاتل قوما على الردة فصبرهم واستتاب آخرين كانوا سجعوا سجع مسيلمة الكذاب فتابوا فانتفعوا به وقوله فصبرهم أي قتلهم صبرا .

الحديث أخرجه الإمام الربيع رحمه الله تعالى برقم [٦٨٠]

وأخرجه أيضا البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة ومالك في الموطأ وأحمد والدارمي .

المعنى اللغــوي :

ــ **يعــودني** : يزورني .

ــ **الوجــــع** : اسم جامع لكل مرض مؤلم .

ــ **أفأتصـدق** : أفأوصي كما بينت ذلك رواية عامر بن سعد حيث جاء فيها (أفأوصي بمالي كله) .

ــ **الشــــطر** : نصف الشيء والجمع أشطر وشطور .

ــ **أنْ تذرهـم** : تتركهم وروي بكسر الهمزة على الشرطية والأول على المصدرية .

ــ **عــــالة** : فقــراء .

ــ **يتكففون النـاس** : يسألون الناس بأكفهم ، يقال تكفف الناسَ إذا بسط كفه للسؤال .

ــ **حتى ما تجعل في امرأتك** : أي حتى الذي تجعله في فم امرأتك من الطعام .

ــ **أأُخَـلَّفُ بعد أصحابي** : أأُخلف بمكة بعد رجوع أصحابي منها .

وقد قال سعد ذلك إما إشفاقا من موته بمكة لكونه هاجر منها وتركها لله تعالى فخشى أن يقدح ذلك في هجرته أو في ثوابه عليها ، أو خشية من بقائه بمكة بعد انصراف النبي

ـ ﷺ ـ وأصحابه إلى المدينة وتخلفه عنهم بسبب المرض وكانوا يكرهون الإقامة بمكة لأنهم هاجروا منها وتركوها لله .

ـ إنك لن تخلف فتعمل عملا صالحا إلاَّ ازددت به درجة ورفعة : هذا جواب من الرسول ـ ﷺ ـ لسعد بخلاف ما سأل عنه لأن سعداً إنما سأل عن تخلفه بمكة بعد أصحابه فأجابه ـ ﷺ ـ عن تخلفه عنهم في الحياة الدنيا وبقائه بعدهم ، ففيه الخروج عن مقتضى الظاهر إلى ما يقتضيه الحال وهو نوع من البديع يسمى «أسلوب الحكيم» .

ـ ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون .

تقدم تفسير الإمام الربيع رحمه الله لهذه الفقرة من الحديث ؛ روى الطحاوي من طريق بكير بن عبد الله بن الأشبح عن أبيه أنه سأل عامر بن سعد عن معنى هذا الحديث فقال : (لما أمر سعد على العراق أتى بقوم ارتدوا فأستتابهم فتاب بعضهم وامتنع بعضهم فانتفع به من تاب وحصل الضرر للآخرين) .

وقيل : المراد ينتفع بك المسلمون بالفتوح والغنائم ويضر بك المشركون بالقتل والسلب ولا مانع من إرادة كل هذه المعاني .

ـ اللهم أمض لأصحابي هجرتهم : أي أتممها لهم ولا تبطلها .

ـ **ولا تردهم على أعقابهم** : أي بترك هجرتهم ورجوعهم عن مستقيم حالهم المرضية .

ـ **البائس** : المبتلى ، وقال سيبويه البائس من الألفاظ المترحم بها كالمسكين . والبائس (الرجل النازل به بلية أو عُدْمٌ يرحم لما به) .

ـ **سعد بن خولة** : صحابي ، اختلف في نسبه فقيل قرشي عامري ، وقيل من حلفائهم وقيل من مواليهم وقيل فارسي من اليمن .. وقيل غير ذلك .

ـ **يَرْثي له** : أي يتوجع ويرق له .

ـ **أنْ مات بمكة** : أي لأجل موته بمكة .

واختلف في سبب وصف رسول الله ـ ﷺ ـ سعد بن خولة بأنه بائس فقيل :

١ ـ لأنه لم يهاجر لما فرض الله الهجرة من مكة إلى المدينة وهذا بعيد فقد ثبت أن سعد بن خوله ممن شهد بدرا ـ ولو أنه مات ولم يهاجر لما رَقَّ له رسول الله ﷺ .

٢ ـ وقيل لأنه مات في الأرض التي هاجر منها سواء أكان رجوعه إلى مكة في مدة الهدنة التي كانت بين المسلمين وقريش ـ على قول بعضهم ـ فمات بها أم كان رجوعه في حجة الوداع وموتها بها . كما ورد ذلك في بعض الروايات .

فعلى القول الأول سبب بؤسه تركه لفرض الهجرة وعلى القول الثاني فسبب بؤسه ما فاته من الأجر والثواب بموته في الدار التي هاجر منها وتركها لله عز وجل ولذا كان يخشى سعد أن يموت بمكة .

ـ **الـردة** : هي الرجوع عن الإسلام بعد الدخول فيه .

ـ **فصبرهم** : أي قتلهم صبرا وهو نصب الإنسان وحبسه للقتل وفي الحديث عنه ـ ﷺ ـ (نهى عن قتل شيء من الدواب صبرا) .

ـ **سجعوا سجع مسيلمة الكذاب** : هو مسيلمة بن ثمامة من بني حنيفة كذاب اليمامة ادعى النبوة وخبره في ذلك مشهور . والسجع الكلام المقفى ، وسـجَعَ تكلم بكلام له فواصل كفواصل الشعر من غير وزن وذلك أن مسيلمة لفق كلمات مسجعة زعمها وحيا وسماها قرآنا فأورثته خزي الدارين وأصبح أضحوكة يسخر منها كل عاقل .

التحليـل :

حث الإسلام على الوصية لأنها سبب إلى نيل الثواب في الآخرة وإبقاء الذكر الحسن في الدنيا ولما فيها من صلة للرحم والأقارب غير الوارثين وسد لخلة الفقراء والمحتاجين وتخفيف للكرب عن الضعفاء والمساكين ومكافأة لمن أسدى للموصي معروفا .

وهي مشروعة بالكتاب والسنة والإجماع . أما من الكتاب فيقول سبحانه وتعالى :

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة ــ ١٨٠)

ويقول عز وجل :

﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ (النساء ــ ١١)

ويقول سبحانه وتعالى أيضا :

﴿ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ (النساء ــ ١٢)

فالآية الأولى دلت على مشروعية الوصية للأقارب غير الوارثين على رأي بعض المفسرين .

والآيتان الأخيرتان جعلتا قسمة الميراث على مستحقيه مؤخرة عن تنفيذ الوصية وأداء الدين . إلا أن الدين مقدم في الإنفاذ على الوصية ــ كما هو معلوم ــ ففي الترمذي وغيره عن الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : (إنكم تقرؤون هذه الآية (من بعد وصية يوصي بها أو دين ..) وأن النبي ــ ﷺ ــ (قضى أن الدين قبل الوصية) .

أما من السنة فحديث سعد المتقدم وكذا ما رواه ابن ماجه من طريق أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ (إن الله تصدق عليكم عند وفاتكم بثلث أموالكم

زيادة لكم في أعمالكم) والحديث رواه أيضا أحمد في مسنده والدارقطني في سننه والطبراني وآخرون من طرق أخرى .

وروي الإمام الربيع رحمه الله ـــ واللفظ له ـــ وكذا الشيخان وغيرهما عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ـــ ﷺ ـــ قال : (لا يحل لامرىء مسلم له شيء يوصي به يبيت ليلتين إلا ووصيّته مكتوبة عند رأسه) .

ويجب على الموصي أن يلتزم العدل في وصيته ويتجنب الإضرار فيها بالورثة لقوله تعالى :

﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ﴾

ويروى عن ابن عباس ، رضي الله عنه ، قوله ـــ وبعضهم يرويه مرفوعا ـــ (الإضرار في الوصية من الكبائر) .

وهذا خلاف لما كانت عليه الوصية في الأمم السابقة حيث أنها اقترنت في أغلب العهود بالإضرار بالورثة والإجحاف بهم والظلم لهم . فعند الرومان كان لرب العائلة حق التصرف في الوصية بما يشاء فقد يوصي لأجنبي ويحرم أولاده من حق الميراث ثم عُدِّل عندهم إلى وجوب الاحتفاظ للأولاد بربع ميراث أبيهم بشرط أن لا يكونوا قد أتوا في سلوكهم مع موروثهم بما يوغر صدره عليهم .

وكان العرب في الجاهلية كثيرا ما يوصون للأجانب طلبا للفخر والمباهاة ويتركون أقاربهم في الفقر والحاجة .

ثم جاء الإسلام فأنقذ الله به الإنسانية مما تعانيه من الظلم وترزح تحته من الطغيان فصحح مسار الوصية وأقامه على العدل والمعروف فألزم من له مال ـــ قبل تشريع الميراث ـــ بالوصية للوالدين والأقربين في قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ١٨٠)

ثم نسخ هذا الحكم بعد تشريع المواريث في قوله تعالى :

﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم

مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ وَإِن كَانَ
رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ
وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ
فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ
أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ﴿

(الآيتان ١١ ــ ١٢ من سورة النساء)

فبينت هاتان الآيتان ميراث كل قريب معين و لم يبق حقه موقوفا على إيصاء الميت له بل صار ثابتا معينا رضي الميت أم كره وبقي وجوب الإيصاء للقريب غير الوارث غير منسوخ على رأي بعض المفسرين .

وقال ﷺ في الحديث المشهور (إن الله أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث) .

ولضمان عدم الإضرار بالورثة والإجحاف بهم فقد حدد النبي ــ ﷺ ــ المقدار الذي يصح الإيصاء به ــ وهو الثلث ــ كما في حديث سعد حيث أراد سعد أن يوصي بثلثي ماله فمنعه ــ ﷺ ــ ثم أراد أن يوصي بشطره فمنعه ــ ﷺ ــ أيضا ثم بثلثه فقال له ــ ﷺ ــ (الثلث والثلث كثير) .

ولقوله عليه الصلاة والسلام (.. والثلث كثير) استحب كثير من العلماء أن لا يستغرق الموصي الثلث كله في وصيته . فعن

ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال (لو أن الناس غضوا من الثلث إلى الربع فإن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (الثلث والثلث كثير) .

وحديث سعد هذا ، هو أصل العلماء في قصر الوصية على الثلث وأن الزيادة عليه لا تصح ممن له وارث . فإن أوصى بأكثر من الثلث وله وارث فقد اتفق العلماء على عدم نفاذ هذه الوصية فيما زاد على الثلث . فإن أجازها الورثة نفذت وإلا ردت إلى الثلث . وهذا الحكم لمن له وارث أما من لا وارث له فيصح له أن يوصي بكل ماله في وجوه الخير والصلاح .

ما يستفاد من الحديث :

١ ـ جواز إخبار المريض بشدة مرضه إذا لم يقصد بذلك التبرم من القضاء والسخط منه وأنه لا ينافي الاتصاف بالصبر المحمود .

٢ ـ المباح إذا قصد به وجه الله صار طاعة .

٣ ـ استحباب عيادة المريض وهي مستحبة للإمام كاستحبابها لآحاد الناس .

٤ ـ حكم الرسول على الواحد من أمته حكم لجميع الأمة .

٥ ـ جواز الوصية بأكثر من الثلث لمن لا وارث له .

النهي عن الشرب في إناء الذهب والفضة

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري عن أم سلمة قال ــ ﷺ ــ : (من شرِبَ في آنية الذهب والفضةِ فكأنما يجرجرُ في جوفه نار جهنم) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع رحمه الله برقم[٣٨٤] وأخرجه أيضا البخاري ومسلم والطبراني من طريق أم سلمة وأخرجه أحمد وابن ماجه من طريق عائشة مع الاختلاف في بعض ألفاظه .

المعنى اللغـوي :

ــ **يجرجر** : الجرجرة صوت صب الماء في الحلق عند توالي الجرعات .

ــ **الآنيـة** : الوعـاء .

ــ **في جوفه** : في بطنـه .

التحليـل :

في هذا الحديث الشريف وعيد شديد لمن يشرب في آنية الذهب والفضة . وكذلك الأكل فيها كما جاء مصرحاً به في رواية أخرى . ففي حديث حذيفة عند البخاري ومسلم : (ولا تأكلوا في صحافها) يعني الذهب والفضة .

هذا الوعيد شبيه بقوله تعالى :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ (النساء آية ــ ١٠)

وهو يدل دلالة قاطعة على تحريم الأكل والشرب في الآنية المصنوعة من الذهب والفضة .

ويشمل هذا التحريم الرجال والنساء ــ إذ لا يدخل في التزين المسموح به للنساء الذي ورد ذكره في أحاديث أخرى كحديث عليّ الذي أخرجه أحمد وأصحاب السنن وصححه ابن حبان والحاكم عنه عليه الصلاة والسلام (إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإناثهم) يعني الذهب والحرير .

لأن المراد في هذا الحديث التزين ، أما الحديث الذي معنا هنا فالمراد به الاستعمال في الأكل والشرب .

وهل استعمال الذهب والفضة خاص بالأكل والشرب فيهما . بعض العلماء يرى هذا .. كما هو صريح في هذا النص محتجين بأن الأصل في الاستعمالات الأخرى الحل .. ولا تثبت الحرمة إلا بدليل .

والنص هنا في هذا الحديث ينص على الحرمة في الأكل والشرب فقط .

وهؤلاء يقولون أيضاً أن علة التحريم هي مشابهة أهل الجنة وهذه العلة لا توجد في غير الأكل والشرب من الاستعمالات

الأخرى كما نص عليها في حديث حذيفة المتفق عليه ، (فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة) .

ويرى كثير من العلماء أن سائر الاستعمالات تدخل في التحريم مثل التطهر والتبخر فيهما إلى غير ذلك من الاستعمالات الأخرى ويقول هؤلاء :

إن ذكر الأكل والشرب في النص إنما جاء مثالاً فقط لمطلق الاستعمال .. .وعليه فقد ألحقوا بالأكل والشرب سائر الاستعمالات الأخرى .

ويرد هنا في هذا الباب أيضاً اختلاف آخر . وهو استعمال الآنية التي هي أنفس وأغلى من الذهب والفضة مثل الماس والجواهر النفيسة والمعادن الثمينة .

فهل يلحق هذا النوع بالذهب والفضة فيمنع الأكل والشرب فيه لوجود العلة في الجميع ؟

أم أنه لا يدخل في المنع باعتبار أن النص اقتصر على الذهب والفضة فقط والأولى هنا أن يقال أن كل ما يؤدي بالفرد أو بالأمة إلى الميوعة أو الترف أو التباهي والتعاظم أو إلى الإسراف والخيلاء أو إلى شيء من هذه المعاني إنه ممنوع . والأولى أيضًا أن يجتنب سواء كان في الأكل والشرب أو في غيرهما وسواء كان ذهباً أو فضة أو من المعادن التي هي أغلى ثمناً منهما . لا سيما في هذا الزمن الذي كثرت فيه المظاهر وكثر فيه

الإسراف ، وتنافس الناس في اقتناء الأشياء الثمينة مما عاد على الأمة بكثير من الأخطار والأمراض النفسية .

علة التحريم : يمكن أن نلحظ من منع استعمال هذين المعدنيين (الذهب والفضة) ، في الأكل والشرب عدة معاني قد يكون راعاها الشارع الحكيم فهو إذ يمنع بعض الأشياء فما ذلك إلا من أجل المصلحة التي تعود بالخير على الفرد وعلى الأمة .

فمن هذه العلل أن استعمالهما في الأكل والشرب يعتبر ظاهرة من ظواهر الترف والميوعة .

ولا شك أن الترف ظاهرة اجتماعية خطيرة تترتب عليها أخطار كبيرة وأمراض اجتماعية خطيرة تجرُّ أصحابها إلى الهلاك والدمار وتجعلهم غير صالحين للبقاء والاستمرار في الحياة وعمارة الأرض .

ولقد عبرّ القرآن عن هذه الظاهرة تعبيراً في غاية الوضوح ونعى على أهلها وجعل تلبسهم بهذا الوضع سبباً لهلاكهم واندثارهم ومحوهم من الحياة قال تعالى :

﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ (الاسراء آية ١٦)

وفي هذا دلالة صريحة على أن الترف يقود صاحبه إلى الفسق ثم إلى الهلاك والعياذ بالله .

ومنها أيضاً أن استعمال أواني الذهب والفضة ينجم عنه

شيء من التعاظم من المستعملين على غيرهم من سائر طبقات الأمة لا سيما الفقراء . وهذا وضع تأباه تعاليم الاسلام والنبي ــ ﷺ ــ يقول : (الناس سواسية كأسنان المشط ..) .

وتعاليم الإسلام تربي أصحابها على التواضع وعلى التعاون .. وعلى إذابة الفوارق في المجتمع بحيث لا تكون هنالك طبقة راقية تعبث بممتلكات الأمة وتلعب بالذهب والفضة والمواد الثمينة وبجانبها طبقات أخرى منهكة من الفقر قد لا تجد لقمة العيش .

واستعمالها أيضاً في الأكل والشرب يعتبر ظاهرة من ظواهر السرف والخيلاء . وهي ظواهر نهى عنها الإسلام وحاربها وأمر بالابتعاد عنها فقال سبحانه وتعالى :

﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام الآية ــ ١٤١)

وأمر سبحانه وتعالى بالتوسط والاعتدال فقال تعالى :

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ (الاسراء آية ــ ٢٩)

وقال أيضا :

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾

(الفرقان آية ــ ٦٧)

وهنالك معان أخرى للمنع يوردها العلماء مثل كونها في الأصل أثماناً وقيما للأشياء وإن استعمالها في الأكل والشرب يؤدي إلى نقصها من أيدي الناس .

والجدير بالذكر أن هنالك من العلماء من يرجع علة المنع في الذهب والفضة إلى عينها وليس إلى علة أخرى خارجة مستدلين بما ورد في الحديث (.. فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة) .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ الوعيد الشديد لمن يشرب في آنية الذهب والفضة .

٢ ــ الابتعاد عن المظاهر التي تؤدي إلى الترف والفوارق الاجتماعية في الأمة .

٣ ــ الحث على البساطة والسهولة في المأكل والمشرب وفي شؤون الحياة كلها .

في التعلم لغير الله

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أنس بن مالك عن النبي ـ ﷺ ـ قال : (من تعلم العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السفهاء لقي الله يوم القيامة وهو خائب من الحسنات) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع رحمه الله تعالى برقم [٣٣] وأخرجه أيضا الترمذي وابن ماجه وابن حبان وابن أبي شيبة وأحمد والدارمي والبزار والطبراني مع بعض الاختلاف .

المعنى اللغوي :

يباهي : يفاخر .

يماري : يجادل .

السفهاء : الجهلة الذين لا أحلام لهم ولا دين .

خائب من الحسنات : محروم منها ، قد حبطت أعماله الصالحة .

التحليل :

للعلم مكانته المميزة في الإسلام ؛ وهو نعمة وتشريف ومسؤولية ، والعلماء ورثة الأنبياء ، ولكن من هم هؤلاء العلماء الذين يكون لهم العلم زيناً في الدنيا والآخرة كما جاء عن رسول الله ـ ﷺ ـ في بعض أحاديثه ؟

في هذا الحديث الشريف يتعرض النبي عليه السلام لموضوع العلم والعلماء من زاوية غير التي ألفناها في بيان فضلهما ، وإبراز الوجه المشرق لهما ؛ فهو هنا يبرز مسؤولية العالم من خلال التنديد بصنف من العلماء لم يعطوا العلم حقه وحادوا به عن وظيفته ، وسخروه لغير ما جعل له فهؤلاء سيلقون ربهم خائبين من الحسنات .

وقد عبر النبي ـــ ﷺ ـــ في الحديث بمباهاة العلماء ومماراة السفهاء عن صنيع بعض من تعلم علماً واكتسب معرفة لا يريد بها وجه الله تعالى ، وإنما يريد الحياة الدنيا وزخرفها وهي الصورة الشائعة بين الناس عن علماء السوء . وليست مباهاة العلماء إلا المفاخرة والرغبة في التفوق على الآخرين ، فنجد الواحد من هؤلاء المباهين يمضي وقته في المهاترات الكلامية التي لا طائل من ورائها غير الرغبة في الانتصار وإشباع النفس من شهرة الغلبة وحب الظهور . والاعجاب بما عنده من غزير العلم وغريب المعارف .

وكما رأينا مع المباهاة فإن مماراة السفهاء ليست إلا الدخول مع العوام الجهلة في محاولات عقيمة لا يرجى منها خير . فالمباهاة والمماراة في العلم امتهان لقيمته وقيمة العلماء إذ كيف تكون منزلة عالم ينازل الجهلة المتنطعين ، إنه بلا ريب يفقد نور العلم ولا يكون له زينا كما جاء في حديث من أحاديث

رسول الله ــ ﷺ ــ . إن صور الخروج بالعلم عن مقاصده أكثر من أن تحد وما جاء في الحديث إنما هو مجرد تمثيل دعمته أحاديث أخرى بين فيها الرسول الكريم أمثلة أخرى لامتهان العلم وأهله .

إن العالم يمتهن علمه إن هو وقف على عتبة الظالمين يعينهم بعلمه على ظلمهم من أجل عطاياهم ، ويصدر الفتاوي المخالفة للحق إرضاء لهذا الصنف من الناس أو ذاك فيحل ما حرم الله ويحرم ما أحل الله بتطويع النصوص والتعسف فيها . إن هؤلاء الأدعياء ليسوا بعلماء وانما هم أشباه رجال في زي العلماء قطعوا كل صلة لهم بالله فلم يشكروه على نعمته ولم يرعوها حق رعايتها . فقد روي عن النبي ــ ﷺ ــ فيما رواه الديلمي (آفة الدين ثلاثة فقيه فاجر وإمام جائر ومجتهد جاهل) وعن الديلمي أيضا (إن العالم إذا أراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وإذا أراد أن يكثر به الكنوز هابه كل شيء .

وعن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : (إذا رأيتم العالم محباً للدنيا فاتهموه في دينكم فإن كل محب يخوض فيما أحب) .

إن الذي يقف من العلم هذا الموقف ويقصد به تلك الغاية يكون جديراً بهذا الوعيد الذي تضمنه آخر الحديث بأن يمثل أمام الله وقد حبط عمله الصالح وخسر ما بذل من جهد في

تحصيله فيفضح على رؤوس الأشهاد ثم يرمى في الجحيم .

جاء في رواية ابن حبان (فمن فعل ذلك النار ، النار) .

وفي إحدى روايتي الطبراني (فهو في النار) وفي الآخرى (لم يرح رائحة الجنة) وهذه الروايات المتعددة يفسر بعضها بعضاً وتؤكد معنى واحد هو حرمان هذا الصنف من الناس من الانتفاع بعلمه يوم القيامة ؛ يشهد عليه عند الله بدل أن يشهد له لأنه خان الأمانة والمسؤولية واختار أن يكون كالحمار يحمل أسفاراً .

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (البقرة ــ ١٦)

والعلم الممدوح هو كل علم فيه نفع للمسلمين مهما كانت طبيعته ومضمونه وعلى رأس العلوم علم الشريعة لأنه الأساس في تكوين الفرد الصالح . فقد جاء عن النبي ــ ﷺ ــ قوله : (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) فإذا صلح عقل المرء وقلبه صلح عمله بما تعلم من علوم الدنيا وسخرها في خدمة الآخرة .

فالمتعلم لفنون الزراعة مثلاً وقد أخذ حظاً كافياً وحداً أدنى من علوم الشريعة إذا هو قصد إنقاذ أمة الإسلام من الحاجة لأهل الكفر في غذائها بأن يسخر علمه لإصلاح الأرض والاستفادة من الموارد للأجيال الحاضرة واللاحقة حتى تقوى

شوكة الأمة وتكون قادرة على حمل الإسلام وعرضه على من يجهله فإذا فعل ذلك مدفوعاً بالإيمان ، ثمرة المعرفة الشرعية ، يكون قد أفلح خلافاً لمن يتعلم العلم من أجل ما يصدر من شهادات وألقاب تجعله وجيها شكلاً دون مضمون فيشير إليه الناس بالبنان .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ العلماء صنفان : صالح وطالح .

٢ ــ العلم المقصود في الحديث هو كل علم مباح فيه نفع للمسلمين .

٣ ــ التزيي بزي العلماء واكتساب المعارف لا يكفي لجعل المرء عالماً في نظر الإسلام .

٤ ــ العلم نعمة وشرف ومسؤولية يجب أن تؤدى بأمانة .

٥ ــ العلم فتنة وامتحان فطوبى لمن نجح فيه .

٦ ــ للعلماء دور عظيم في تحقيق الخير في الدنيا والآخرة .

سـنن الفطـرة

أبو عبيدة قال : بلغني عن أبي هريرة قال : سن رسول الله ـ ﷺ ـ عشر سنن في الإنسان ، خمس في الرأس وخمس في الجسد . فاللواتي في الرأس : (فرق الشعر ، وقص الشارب ، والسواك ، والمضمضة ، والاستنشاق) ، واللواتي في الجسد : (نتف الإبطين ، وتقليم الأظفار ، والاستحداد ، والختان ، والاستنجاء) .

الحديث أخرجه الامام الربيع بن حبيب ـ رحمه الله ـ برقم [٧١٩] وأخرجه أحمد ومسلم والنسائي والترمذي ، ومالك باختصار وزيادة .

المعنى اللغـوى :

فرق الشعر : جعل شعر الرأس فرقتين .

الاستحداد : حلق شعر العورة .

التحليـل :

أكرم الله تعالى البشرية بدين الإسلام الطاهر ، الذي يحب النظافة ويدعو إليها . ولعل النظافة من أهم السمات المميزة للشخصية الإسلامية الحقة . ولئن دعا الإسلام إلى نظافة الباطن وصفاء السرائر وتطهير القلوب من الأدران ، والعلائق الدنيوية

والنوازع الشيطانية فإنه ــ بعد ذلك ــ يدعو إلى أن يؤثر ذلك على ظاهر الإنسان وسلوكه وأخلاقياته ومعاملاته ، فإن الإسلام دين متكامل . ألا ترى إلى قوله تعالى :

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ (الضحى ــ ١١) ،

وقول الرسول ــ ﷺ ــ (إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده) رواه الترمذي . فلا يمانع الإسلام من أن يهتم المرء بمظهره ليكون على هيئة حسنة ، بل يحبذ ذلك ويحث عليه . فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ــ ﷺ ــ قال : (لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر) قال رجل : (إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة) قال : (إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس) رواه مسلم والترمذي والحاكم .

فهذا الحديث أباح للمسلم ما يجمل به هيئته بل حض على ذلك ، إلا إذا صاحب ذلك كبر وإعجاب ، فإنه في هذه الحال فقد التكامل الذي هو من خصائص المسلم ، فقد طهارة الباطن ، فعليه أن يطهر قلبه وأن لا يفعل ما يدعوه إلى الغرور والكبر ، وذلك بأن لا يبالغ في التزين والاهتمام بالمظهر ، وتجديد اللباس ونحو ذلك ، فإنما الخير في الاعتدال ، سأل رجل ابن عمر رضي الله عنهما : ما ألبس من الثياب ؟ قال : (مالا يزدريك فيه السفهاء ، ولا يعيبك به الحكماء) .

ولمّا كان الإسلام بهذه النظرة العميقة إلى الفرد المسلم البنّاء فإنه مما شرعه في طهارة الجسم عشر خصال ، تسمى سنن الفطرة ، لأنها من مقتضيات الفطرة السليمة ، ومن مظاهر الخلقة السوية . وهي مما ورثته شريعتنا الإسلامية السمحة من ملة أبينا إبراهيم عليه السلام ، ومن ثـمَّ تسمى سنن إبراهيم . وهي عشر ، خمس في الرأس ، وخمس في سائر الجسد .

أما الخمس التي في الرأس فهي :

١ ــ **فرق الشعر** : والمراد أن يسرِّح الإنسان شعره ويتعهده بالغسل والنظافة ، قال عليه الصلاة والسلام : (الشعر كسوة الله فأكرموه) ، وفي رواية (أكرم شعرك وأحسن إليه) . وقد رأى النبي ــ ﷺ ــ رجلاً قد تفرق شعره ، فقال عليه الصلاة والسلام : (أما وجد هذا ما يسكن به شعره) .

وروي عنه عليه السلام أنه كان تارة يرجّل شعره بنفسه ؛ أي يسرحه ، وتارة يرجّله له بعض نسائه . فإذا كان للرجل شعر طويل فليفرقه ، وفرق الشعر جعله فرقتين ، وفي ذلك دلالة على النظافة ، وتؤمر المرأة أن تعقص شعرها بأن تجعله ضفائر خوفاً من ظهور بعضه إذا تفرّق .

ويجوز للرجل أن يقصر شعر رأسه وأن يحلقه كله ، إلا

أن إبقاءه من سنة الرسول ـــ ﷺ ـــ لغلبة ذلك على حياته عليه السلام ، حتى قيل : إن الشعر في الرأس زينة بشرط أن لا يصل إلى مشابهة الفساق والسفلة .

هذا ، ومن مخالفة المرأة لفطرتها ، وخروجها عن خلقتها السليمة قصها شعر رأسها ، تريد بذلك الزينة فتصير شبحاً مروِّعا ، ثم إنها تجعل شعراً مزيفاً مكان الشعر الذي أعطاها الله إياه . ولا شك أنها لا يحل لها أن تحلق شعر رأسها ولا أن تأخذ منه شيئاً ، لأن هذا من كمال زينة المرأة لزوجها .

ثم إن المرأة إذا حلقت رأسها ووضعت مكان شعرها شعراً غيره ، وبعد أن تقع في محرم فإنها توشك أن تقع في محرم غيره ، وهو وصل الشعر المنهي عنه ، لأن هذا شبيه بذاك ، ويعطى للشيء حكم مشابهه ، فترتكب حينئذ منكرين . فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (لعنت الواصلة والمستوصلة والنامصة والمتنمصة ، والواشمة والمستوشمة من غير داء) رواه أبو داود ، فاللعنة واقعة على من وصلت شعرها ، وعلى النامصة وهي التي تأخذ شيئًا من شعر حاجبيها ، وهذه عادة منتشرة عند كثير من النساء ، ولا يجوز ذلك ، سواء كان باختيارها ، أو أمرها به زوجها ، لأن كثيراً منهن تزيل

شعر الحاجبين لأمر زوجها إياها بذلك ، ولا يجوز لها أن تطيعه في معصية الله ، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

٢ ــ قص الشارب :

وهو ما ينبت على الشفة العليا من شعر ، ومن السنة قصه وإحفاؤه لأمره عليه الصلاة والسلام بإحفاء الشوارب ، وقد قال العلماء أقل قص الشارب أن يبين الإطار الذي حول الشفة ، وليس لذلك وقت معيَّن ، بل كلما طال قص شاربه . ولا يدعه يطول حتى يخرج عن المظهر الإسلامي ويتشبه بغير المسلمين .

٣ ــ السواك :

حث النبي ــ ﷺ ــ على السواك وتنظيف الأسنان حثًّا عظيماً ، وجعله من الطهارة للصلاة ، فقال عليه الصلاة والسلام : (لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء) فأنت ترى أنه عليه الصلاة والسلام حث على السواك قبل الصلاة حتى يكون المسلم في أكمل هيئة وأطيب ريح .

وقوله ــ ﷺ ــ : (لولا أن أشق على أمتي) يفهم من ذلك أنَّه من المشقة أن يتعاهد المسلم السواك كلما

دعت إليه الحاجة ، ولا شك أنه عليه السلام إنما يتوخى بذلك فائدة عظيمة ترجع إلى المداومة على السواك ، وإلا لم يندب إلى تلك المشقة . فحري أن تتحمل ، ويداوَم عليها . وقد وردت أحاديث كثيرة في فضل السواك ، منها ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ــ ﷺ ــ قال : (السواك مطهرة للفم مرضاة للرب) وفي رواية بزيادة (ومَجلاَة للبصر) .

ويستحب تنظيف الفم بالسواك سواء كان قبل الصلاة أو غير ذلك ، كالقيام من النوم ، عن حذيفة قال : كان النبي ــ ﷺ ــ إذا قام من الليل يشوص فاه بالسواك ــ أي يدلك فمه به . وقبل النوم ، وهو أمر ضروري كيلا ينام وفمه مليء بما يتبقى من الطعام فيكون ذلك سبباً في ضياع أسنانه ، وهذا أمر ينبغي على الآباء والأمهات أن يعودوا عليه أبناءهم . وكلما تغيرت رائحة الفم فإنه عليه أن يطهره بالسواك لئلا ينفر عنه الناس .

هذا ، ولا فرق في السواك بين الأراك وبين الفرشاة والمعجون ، إذ المراد النظافة . إلا أن في السواك بالأراك من الفوائد الصحية وغيرها مالا يوجد في غيره ، ومن جمع بينهما فهو أمر حسن .

٤و٥ ــ المضمضة والاستنشاق :

وهما من سنن الوضوء ، ومن واجبات الغسل ، وقد ورد الأمر من النبي ــ ﷺ ــ بالمبالغة في المضمضة والاستنشاق فقال : (إذا استنشقت فأبلغ إلا أن تكون صائماً) وفي رواية : (إذا توضأت فضع في أنفك ماءً ثم استنثر) رواه الإمام الربيع .

وأما التي في سائر البدن فهي :

٦ ــ نتف الإبطين :

يقبح بالمرء ترك شعر إبطيه ، خصوصاً إذا زاد عن الحد المعتاد ، لما يحمله من أوساخ ، وما ينبعث منه من روائح كريهة . فالسنة عن النبي ــ ﷺ ــ النتف ، ولذلك ورد عنه عليه الصلاة والسلام أنه كان إذا رفع يديه في الدعاء بان بياض إبطيه . وليس في نتف شعر الإبطين صعوبة لمن اعتاده . ومن حلقه فلا بأس ، خصوصاً لمن يؤلمه النتف فلا يقدر عليه ، ولكن ينبغي التأسي برسول الله ــ ﷺ ــ والمحافظة على سنته الزكية .

٧ ــ تقليم الأظفار :

على المسلم أن يتعهد أظفاره بالقص لما يتجمع تحتها من الأوساخ ، وذلك كل أسبوع إن طالت ، سواء في ذلك أظفار أصابع اليدين أو القدمين . ويقلمها بالآلة المعدة لذلك ، ويكره قطعها بالأسنان ، لأنه ينافي النظافة وحسن السمت .

٨ ــ الاستحداد :

وهو حلق شعر العورة ، وتسمى العانة ، بالحديدة (وهي الموسى) واستحب العلماء نتف العانة للنساء ، وإن حلقت فلا بأس عليها ، وحدّ بعضهم للرجل أربعين يوماً ، وللمرأة عشرين يوماً .

٩ ــ الختان :

وهو واجب على الرجال ، مكرمة للنساء ، قال عليه الصلاة والسلام : (الختان للرجال سنة ، وللنساء مكرمة) ، والمراد بالسنة : السنة الواجبة .

١٠ ــ الاستنجاء :

يجب أن يزيل الإنسان النجاسة من جسده ، ويطهره بالماء ، إذ لا تصح الصلاة إلا بالطهارة من كل النجاسات . ويكون الاستنجاء بالأحجار أو ما يقوم

مقامها مثل الورق ، ثم بالماء ، بأن يزيل النجاسة أولاً ، ثم يتبع ذلك الماء . وإن لم يتيسر سوى الماء ، فالماء كافٍ .

لقد رأيت أيها القارىء هذه الأمور التي شرعها الإسلام لأجل المحافظة على سلامة الإنسان وصحته ، ومظهره وهيئته ؛ وحتى يتحقق في الفرد المسلم معنى انتمائه إلى الإسلام . وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على المعاني الرائعة والأخلاق العالية والمبادىء الرفيعة التي جاء بها هذا الدين العظيم ، من أجل سعادة المسلم ، وسعادة مجتمعه ، وسعادة الخلق أجمعين .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ الإسلام دين الفطرة ، فما من صغيرة ولا كبيرة يأتي فيها بحكم إلا كان فيه حكم جليلة .

٢ ــ الإسلام دين الطهارة ، من حافظ على كل ما أتى به هذا الدين العظيم ــ بقدر طاقته ــ كان طاهراً باطناً وظاهراً .

٣ ــ يحث الإسلام على الحفاظ على المظهر كما يحث على الحفاظ على المخبر على السواء .

وجوب إعفاء اللحى

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ـ ﷺ ـ (أمر باحفاء الشارب وإعفاء اللحى) .. قال الربيع يريد القطع لما طال منه .

الحديث أخرجه الإمام الربيع رحمه الله برقم [٧١٨] وأخرجه أيضا البخاري ومسلم والترمذي وقال : (حديث صحيح) وأبو داود والنسائي بألفاظ متقاربة .

المعنى اللغوي :

إحفاء الشارب : الإحفاء مصدر أحفى شاربه إذا استأصل قطع شعره ، لأن أصل الإحفاء الاستقصاء والاستئصال ، وهو محمول عند الجمهور على قطع ما طال من الشارب على الشفة لا استقصاء الكل .

إعفاء اللحى : الإعفاء مصدر أعفى الشعرَ إذا وفره قال تعالى : ﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ ﴾ (الأعراف ٩٥) أي كثروا ونموا والمعنى : أبقوا اللحى على حالها ولا تقطعوها .

التحليل :

حرص النبي ـ ﷺ ـ على بناء الشخصية المتميزة

للمسلم . فالمسلم ليس إمعة يتابع غيره سواء أكان ذلك الغير على هدى أم ضلال ، بل يجب أن يكون هو المقلد والمتَّبَعَ لأنه المكلف بقيادة العالم وتوجيهه إلى ما يصلحه ويسعده في الدنيا والآخرة . ومن هنا وردت النصوص الصحيحة والصريحة بتحريم التشبه بالكفار سواء في عباداتهم أو أعيادهم أو أشكالهم وأزيائهم الخاصة بهم .

ولقد سعى أعداء الإسلام إلى طمس هذا التميز في الشخصية المسلمة بكل ما في وسعهم ؛ فبدأت حملات الاستشراق تحاول فصل المسلم عن عقيدته وتاريخه وأخلاقه وتنشر سموم التغريب وتروج لبعض الأفكار الهدامة بين أبناء المسلمين . وللأسف الشديد وجدت هذه الأفكار السقيمة والمبادىء العقيمة من يتبناها وينشرها من أبناء المسلمين ــ أنفسهم ــ الذين انبهروا ببريق هذه الحضارة المادية الزائفة لبعدهم عن منهاج الله تعالى وتعاليم دينه القويم فبدأت الهمسات تصدّر من هنا وهناك بما يسمى بغير حق بالتحرر من كل ما يمت إلى الإسلام بصلة ليصبح المسلم اسما بلا مسمى .

وفي هذا الحديث الشريف يأمر ــ ﷺ ــ أمته بمخالفة المشركين في قص شعر الشارب وتوفير شعر اللحية . وقد جاء الأمر بتوفير اللحى وعدم التعرض لها بالقص والتقصير بألفاظ تدل دلالة قطعية على وجوب توفيرها وتحريم قصها فقال

ـ ﷺ ـ (خالفوا المشركين أحفوا الشوارب أوفوا اللحى) وقال عليه السلام ، جزوا الشوارب وأرخوا اللحى خالفوا المجوس) وقال (أنهكوا الشوارب وأعفوا اللحى) وقال ، (خالفوا المشركين وفروا اللحى وأحفوا الشوارب) وحاصل المقام أن الأمر بتوفير اللحى وعدم قصها ورد بألفاظ كثيرة (أعفوا) و(أرخوا) ، و(وفروا) ولا ريب أن عدم الامتثال لما أمر به ـ ﷺ ـ معصية له عليه الصلاة والسلام وقد توعد سبحانه وتعالى الذين يعصونه ـ ﷺ ـ بنار جهنم حيث قال :

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ (الجن ـ ٢٣)

وقال سبحانه وتعالى :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾

(الأحزاب ـ ٣٦)

والقضاء هنا بمعنى الحكم .

وحذر سبحانه وتعالى الذين يعرضون عن قبول أمره ـ ﷺ ـ بإصابة الفتنة في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة فقال عز وجل :

﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾

(النور ـ ٦٣)

ومع هذا كله فحلق اللحية محرم من وجوه عديدة منها :

١ ــ في حلق اللحية تشبه بالنساء :

والتشبه بالنساء حرام فقد لعن رسول الله ــ ﷺ ــ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال .

قال بعض العلماء «ومن عجيب ما ظهر في الوقت تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال فالشباب يتخنث ويحلق وجهه كل صباح ويدلكه ويلمعه بالأدهان والسوائل المعدة لذلك كما تفعل النساء ..» .

فمن هذا الذي ترضى له رجولته ومروءته وشهامته أن يتشبه بشيء من صفات النساء وخصائصهن اللهم إلا إن كان ممسوخ العقل متعفّن الفطرة بليد الإحساس .

فإن قال بعض المتحذلقين : إن حلق اللحية لا تشبه فيه بالنساء لأن المشابهة تقتضي وجود وجه يتفق فيه المتشابهان والمرأة لا لحية لها تحلقها حتى يقال إن الرجل إذا حلقها كان متشبها بها ولا يطلق على وجه المرأة أنه محلوق بخلاف وجه الرجل .

فالجواب : إن كل ذي عقل سليم يشهد بأن عارضي حالق لحيته كعارضي المرأة في كونهما لا شعر عليهما والعبرة بالغاية الواقعة المشاهدة لا بالوسيلة الموصلة إليها . وهذه الغاية هي كون وجه الرجل كوجه المرأة

وإلا فما يقول هذا المتحذلق في المرأة إذا اتخذت لحية من شعر وجعلتها على وجهها ؟ أمتشبهة بالرجال أم ليست متشبهة ؟! لأن اللحية في وجه الرجل ليست مصنوعة ، فانتفى الشبه هذا مالا يقوله عاقل منصف .

٢ ــ في حلق اللحية تشبه بالكفار :

والتشبه بالكفار محرم بالإجماع والنصوص على ذلك كثيرة من كتاب الله وسنة نبيه ــ ﷺ ــ والتشبه بهم لا يكون إلا عن مرض نفسي قال تعالى :

﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَـٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ (المائدة ــ ٥٢)

ومن هنا يظهر الارتباط الوثيق بين الظاهر والباطن فمن تشبه بالكفار استحسن ما هم عليه واستقبح ما أتى به دين الله تعالى ــ نعوذ بالله من ذلك ــ ولقد حذر علماء الإسلام من تعظيم شعائر الكفار والتشبه بهم حتى قال بعض العلماء من أهدى إلى كافر في يوم عيده ولو بيضة دجاج فقد كفر لأنه عظم خصلة من خصال الكفر .

ويحلو لبعض من أشربت قلوبهم حب تقليد الكفار أن

يقولوا إن كثيرا من المشزكين اليوم يعفون لحاهم فينبغي لكي نخالفهم أن نحلق لحانا !! وهذا كلام ساقط فإن تبرع عليه بالجواب فمن وجوه :

١ ــ الأمر بإعفاء اللحى لم يرد على وتيرة واحدة ، فمرة ورد معللا بمخالفة الكفار ، وأخرى لم يرد كذلك . ففي الحديث الذي نحن بصدد شرحه ورد الأمر غير معلل ، وكذا في بعض روايات مسلم . وقد تقدم أن امتثال أمره عليه السلام واجب .

٢ ــ ليست العلة الوحيدة في الأمر بإعفاء اللحى هي مخالفة المجوس بل ذلك بعض العلة . ومن العلل أيضا أن حلقها تغيير لخلق الله تعالى كما ذهب إليه بعض العلماء وتشبه بالنساء وكلاهما منهي عنه ملعون فاعله .

٣ ــ إعفاء اللحية وقص الشارب من خصال الفطرة بنص الحديث عن رسول الله ــ ﷺ ــ والفطرة هي السنة القديمة التي اختارها الأنبياء واتفقت عليها الشرائع حتى كأنها أمر جبلي فطروا عليه ــ وهذه الفطرة لا تتبدل بتبدل الزمان ولا بانحراف البعض عنها فإن أعفى المشركون لحاهم فقد سلمت فطرتهم في هذه الخصلة من سنن الفطرة ووافقوا فيها شرائع الأنبياء عليهم السلام فلا يسوغ لنا بحال أن نرفض ما شرعه الله لنا وفطرنا

عليه لمجرد أن يتلبس بها بعض المشركين .

٤ ـــ حلق اللحى وإطالة الشارب من هدي المشركين الخاص بهم وإن شذ بعضهم عن هذا . وهل نقلت إلينا هذه السنة السيئة إلا من طريقهم ؟ فقد كان المسلمون إلى وقت قريب يوفرون لحاهم ويرون حلقها عيبا ومنقصة بل كان بعض الأمراء ممن لم يكونوا متفقهين في الدين إذا أرادوا أن يعاقبوا أحدا ممن ينتمي إليهم لتقصير رأوه منه يحلقون لحيته فيكون ذلك أشد وقعا في نفسه من أي عقاب آخر .

والشرع عظم أمر اللحية وجعل على من ينتف لحية آخر دية رجل كاملة إذا لم تنبت لمدة عام وحكومة عدلين إن نبتت فأعجبْ لرجل يسلم نفسه لمن يحلق لحيته ويدفع له مالا .

أما عن الأمر الآخر وهو قص الشارب فقد اختلف العلماء في كيفية قصه هل المراد استئصاله بالكلية أو المراد قص ما زاد على الشفة ؟

القول الأول : استئصال قص الشارب بأسره وإلى هذا ذهب الحنفية وبعض أصحابنا .

القول الثاني : قص ما زاد على الشفة فقط وإلى هذا

ذهب جمهور أصحابنا وإليه ذهب المالكية والشافعية ولكل قول أدلته لا نطيل المقام بذكرها والمسألة سائغ الخلاف فيها .

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ تحريم قص اللحية ووجوب توفيرها .

٢ ــ وجوب إحفاء الشارب فيما زادَ على الشفة .

٣ ــ يجب على المسلم أن يعتز بمواريثه الفكرية وشخصيته المتميزة .

امتناع الملائكة عن دخول البيت الذي فيه تصاوير

٧ ــ أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ــ ﷺ ــ (إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه تماثيل أو صور) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع في مسنده برقم [٧٢٣] وأخرجه مالك والبخاري ومسلم وفيهما كلمة كلب بدل صور .

وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وزاد أبو داود والنسائي (ولا جنب) .

التحليــل :

جاء الإسلام لينظم حياة الإنسان الخاصة والعامة .. وليرتب له شؤونه كلها ترتيباً متناسقاً بحيث لا تطغى ناحية على أخرى .. وبحيث لا يبقى مشغولاً في حياته بأمور على حساب أمور أخرى .. ولأجل أن تتصف أعماله كلها بالاعتدال والاتزان والدقة .

ولقد نهى الإسلام عن التعلق بالأشياء تعلقاً يفضي إلى الغلو والمبالغة ، كما نهى عن التشبه بالكفار في أعمالهم وتصرفاتهم ،

كمضاهاتهم لخلق الله عز وجل وذلك حتى يظل التصور عن الخالق في ربوبيته وألوهيته منفصلاً عن تصوره للمخلوق .

وقد جاء حديث هذا الباب ليرسخ في ذهن المسلم هذه القاعدة وهذه المفاهيم فهو ينهى عن اتخاذ الصور والتماثيل .. وهي المجسمات لا سيما في البيوت .

وكون الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة .. أو تمثال ، دليل قاطع على حرمة اتخاذ الصور والتماثيل ، وعلى أنها معصية من أقبح المعاصي . ذلك لأن اتخاذ هذه الأشياء وعرضها في البيوت إنما هو تعلق بغير الله عز وجل ، والمسلم مطالب بأن يكون تعلقه بالله وحده .. واتجاهه إلى الله وحده .. وليس إلى سواه .

ولأن فيها أيضاً مضاهاة لخلق الله عز وجل ، وليس من حق المخلوق أن يضاهي الله في خلقه (ألا له الخلق والأمر) ، وهو ما يوضحه حديث عائشة ــ المتفق عليه ــ (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله) . وكما جاء في حديث ابن عباس ــ عند البخاري ــ : (من صور صورة في الدنيا كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح .. وليس بنافخ) .

وكما جاء أيضا في حديث ابن عمر (.. أنه يقال للمصورين : أحيوا ما خلقتم ..) وإنما ذلك على سبيل التعجيز .

وفيها كذلك تشبه بالكفار .. إذ أن اتخاذ الصور والتماثيل هو من أساليب الكفار ، والإسلام يحب أن يكون المسلم متميزاً في أخلاقه وسلوكه ، وفي أعماله وتصرفاته .. (وكأنه شامة بين الأمم) .

س : ــ هل حرمة اقتناء الصور .. عام على كل الصور ؟ أم يستثنى من ذلك ما يكون محل الامتهان ؟ أو ما يقطع منها الرأس ، وما يكون رقماً في ثوب ؟

ملخص آراء العلماء في ذلك :

إذا كانت الصور ذات أجسام فهي حرام قولاً واحداً .

وإن كانت رقماً في ثوب .. ففيها أربعة أقوال :

ــ بعضهم يجوز مطلقاً ــ لحديث .. (إلا ما كان رقماً في ثوب) .

ــ بعضهم يمنعها مطلقاً ــ عملاً بعموم الأحاديث الواردة في ذلك .

ــ بعضهم يفرق في الحكم ــ فإذا كانت الصورة باقية على شكلها وهيئتها .. فالمنع وإن كانت مقطوعة الرأس فالجواز .

ــ وبعضهم يرى أنه إذا كانت الصورة مما يمتهن فالجواز .. وإلا فلا .. ويستثنى من ذلك لعب البنات .

على أن هنالك من يفرق بين التصوير (الفوتوغرافي) الشمسي .. وبين التصوير الذي يتم باليد . فيرون الجواز في التصوير الشمسى .. مستدلين عليه بأن هذا النوع ليس فيه مضاهاة لخلق الله أو مشابهة له .. وأن حكمه حكم الرقم على الثوب المستثنى من المنع ، ويقولون بأن هذا ليس تصويراً بالمعنى الدقيق وإنما هو حبس للظل .

ـــ بينما يرى آخرون المنع مطلقاً .. لعموم الأحاديث الواردة في ذلك .

ـــ ويتستثنى من هذا الخلاف .. الصور المستعملة في الوثائق ، وفي النواحي الطبية والعلمية . فإن هذا يدخل في باب الضرورات .

ـــ أما الصور التي تنشر في الصحف والمجلات ـــ العارية ـــ والتي تدل على الخلاعة والمجون والسفور .. وما أشبه ذلك ، فهذا لا شك في حرمته .

والنهي في الحديث يشمل الذين يصورون .. كما ورد في حديث ابن عباس الذي يقول فيه : سمعت رسول الله ـــ ﷺ ـــ يقول : (كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا . فتعذبه في نار جهنم . فإن كنت لابد فاعلاً فاصنع الشجر وما لا نفس له) وحديث : (إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون) . ويشمل الذين يقتنون الصور ..

لحديث حيان بن الحصين .. قال : قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ـ ﷺ ـ .. (ألا تدع صورة إلا طمستها) ولحديث الباب (لا تدخل الملائكة بيتاً فيه صورة) .

ما يستفاد من الحديث :

١ ـ حرمة اتخاذ التماثيل والصور .
٢ ـ البيوت التي توجد فيها صور لا تدخلها الملائكة .
٣ ـ المحافظة على عقيدة المسلم من التعلق بغير الله .
٤ ـ يعمل الإسلام على أن تبقى عقيدة المسلم صافية نقية .

النهي عن سفر المرأة إلا مع ذي محرم

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي هريرة عن رسول الله ـ ﷺ ـ قال : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسيرّ مَسيرَةَ يوم وليلة إلا مع ذي محرم منها) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع رحمه الله تعالى برقم [٧٣٠] وأخرجه أيضا البخاري ومسلم ومالك وأبو داود والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة .

المعنى اللغـوى :

اليوم الآخر : يوم القيامة . وذكر لتأكيد التحريم .

مسـيرة : مصدر ميمي بمعنى السير .

مَحْـرَم : أي يحرم عليها الزواج منه تحريماً مؤبداً سواء بنسب أو مصَاهرة أو رضاع .

التحليـل :

ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة في تحديد المسافة .

ـ فهنا في هذا الحديث ورد بلفظ (يوم وليلة) .

ـ وفي رواية أخرى ورد بلفظ (أن تسافر فوق ثلاثة أيام فصاعدا) .

ـ وفي بعض الروايات ورد بلفظ (تسافر مسيرة ليلة) .

ـ وفي رواية ورد بلفظ (يوم) .
ـ وفي رواية ورد بلفظ (بريد) بدل يوم .
ـ وفي رواية ورد بلفظ (يومين) .
ـ كما ورد في بعض الروايات إطلاق السفر من غير تقييد .

وللعلماء آراء متعددة في توجيه معنى هذه الألفاظ .

فبعضهم يفترض أن هنالك أسئلة كانت توجه إلى النبي ﷺ ـ تتعلق بزمن محدد فيجيء الجواب حسب ذلك الزمن المذكور في السؤال .

والمعنى على هذا أن تحديد الزمن غير مقصود لذاته وإنما ورد هكذا لكونه جاء إجابة عن أسئلة متنوعة .

ويرى البعض .. أن اليوم والليلة في الرواية ، هو اليوم في الرواية الأخرى وأن الثلاث يراد بها فترة المسير والمجيء .

فكأنَّه يعبر تارة عن الذهاب فقط وتارة عن الذهاب والرجوع ، وعلى هذا فإن اختلاف الألفاظ في الروايات ترجع إلى معنى واحد .

ويرى اخرون أن هذا الاختلاف في الألفاظ هو من باب التمثيل بأقل الأعداد فالواحد أول العدد .. والاثنان أول الكثير والثلاثة أقل الجمع فكأنه يشير بهذا إلى قلة الزمن ، وإلى مطلق السفر .

ومما يدل على أن المراد مطلق السفر حديث (لا يخلون رجل

بامرأة إلا ومعها ذو محرم) أي مطلق الخلوة وفي أي سفر أو حضر .

وعلى كل حال .. فالحديث ينهى المرأة المسلمة أن تسافر وحدها .. أو مع أجانب منها بدون أن يكون معها ذو محرم منها كزوج أو أب أو أخ أو ولد أو قريب منها من ذوي المحارم كما جاء مصرحاً به في بعض الروايات حيث قال : (.. إلا ومعها أبوها أو زوجها أو أخوها أو ذو محرم منها) . وذلك صيانة لها وحفظاً لكرامتها .. والمرأة دائما مستهدفة لا سيما في هذه الأزمان التي تردت فيها الأوضاع واختلط فيها الحابل بالنابل وصارت الأمور فيها أقرب إلى الفوضى منها إلى الاتزان .

مما يتطلب من المرأة المسلمة أن تكون حازمة في أمرها .. محتاطة من جميع المحاذير ، مقدرة لأوضاع العصر وظروفه .

فلا تتساهل في خروجها وحدها ، ولا في سفرها مع الأجانب بدعوى أنها في مأمن أو بأي ذريعة أخرى .

ومعلوم أن سفر المرأة المسلمة وحدها لا يدخل في باب الحرية الشخصية التي يكثر اللغط عنها في هذه الأزمان والتي ربما تفهمها كذلك بعض النساء . فإن سبيل هذه الحرية عند المسلم تختلف عنها عند غير المسلم . فإنها عند المسلم لا تكون إلا في المباحات وفي حدود ما أحل الله .

أما الأمور المحرمة والممنوعة شرعاً .. فليس للمسلم ولا للمسلمة إلاَّ أن يتقبلاها بالتسليم والرضى والامتثال التام لأوامر الله ونواهيه .

فالله عز وجل يقول :

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا﴾ (الأحزاب ـــ ٣٦)

والنبي ـــ ﷺ ـــ يقول : (وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه) . كما أن موضوع منع المرأة من السفر وحدها ليس فيه شيء من التضييق على المرأة المسلمة كما قد يتوهم ذلك البعض ، وإنما الشأن في هذا وفي غيره من الأمور التي منعها الإسلام وأمر بالانضباط والالتزام فيها ، والتي تتعلق بحركة الإنسان في حياته ، هو مراعاة مصلحة الفرد والجماعة والأمة سواء عرفنا هذه المصلحة أو جهلناها .

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ـــ ٢٣٢)

والأمة المسلمة عندما تتقيد بتعاليم الله عز وجل بأوامره ونواهيه .. فإنها بذلك ، علاوة على أنها تطيع الله ورسوله ، وتحقق معنى العبودية لربها ، فإنها أيضاً بذلك تبتعد عن كثير من المضار والأمراض الاجتماعية والجسمية والخلقية .

كما تتحقق لها أيضاً في حياتها ـــ السعادة والاطمئنان والبركة وسعة الرزق يقول تعالى :

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف آية ـــ ٩٦)

ما يستفاد من الحديث :

١ ـــ نهي المرأة المسلمة عن السفر بدون محرم .. سواء كانت بنفسها ، أو مع أجانب .

٢ ـــ المحافظة على عرض المرأة المسلمة وسلامتها من الأذى من الأمور التي يوليها الإسلام الاهتمام البالغ والعناية الكبيرة .

الإحـداد عـلى الميـت

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن أبي سعيد الخدري قال : قالت حفصة : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع رحمه الله برقم [٥٣٦] وأخرجه أيضا رحمه الله تعالى عن أم حبيبة برقم [٥٣٧] والبخاري ومسلم ، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي ومالك في الموطأ وأحمد وأبو داود الطيالسي .

المعنى اللغـوي :

لا يحـل : هذا نفي بمعنى النهي للتأكيد على منعه وتحريمه .

أن تحـد : بضم أوله كسر ثانيه من الرباعي ـ أحد ـ ويجوز بفتح أوله وضم ثانيه من الثلاثي .

وأصل الإحداد المنع ومنه سمي البواب حدادا لمنعه الداخل وسميت العقوبة حدا لأنها تردع عن المعصية .

والإحـداد : امتناع المرأة المتوفي عنها زوجها من الزينة كلها من لباس وطيب وغيرهما من كل ما كان من دواعي الجماع وقيل معنى الإحداد منع المعتدة نفسها الزينة وبدنها الطيب ومنع الخطاب خطبتها والطمع فيها .

ميّـت : في رواية الإمام الربيع بتشديد الياء وفي الموطأ وغيره ميْـت بتخفيفها قيل وهما لغتان وقال بعض اللغويين أن بينهما فرقا فيطلقان على ما مات حقيقة وأما ما لم يمت حقيقة فلا يقال فيه ميْـت بالتخفيف دليله قوله تعالى :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ (الزمر ٣٠)

وقال الشـاعر :

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحيـاء

التحليـل :

الإسلام دين الفطرة يوجهها الوجهة السليمة ولا يصطدم بها . وقد خلق الله تعالى النساء أرق من الرجال شعورا بالشدة والرخاء والآلام واللذائذ وأكثر استجابة للمسرات والأحزان . فلا غرو إذا ما كان من دأبهن النواح على موتاهن ومن عادتهن الحداد عليهم .

وكانت النساء في الجاهلية يسرفن في الحداد والنواح إسرافا لا مثيل له فيخمشن وجوههن ويحلقن شعورهن ويدعون بالويل والثبور وعظام الأمور ويندبن قتلاهن فيعددن ما كان لهم من خصال حميدة وصفات كريمة ولربما قضت الواحدة عمرها في ذلك ، وما قصة الخنساء عنا ببعيدة لولا أن أنقذها الله بالإسلام .

وكان الرجال يوصون نساءهم بذلك كما قال طرفة بن العبد في معلقته :

إذا مت فانعيني بما أنا أهله وشقي عليّ الجيب ياابنة معبد
ولا تجعليني كامرئ ليس همه كهمي ولا يغني غنائي ومشهدي

وكان من شأن المرأة العربية في جاهليتها إذا مات زوجها أن تعتزل الناس فتجلس في شر مكان من البيت ولا تلبس إلا ثيابا خلقة وتظل كذلك حولا كاملا لا تغير ثوبها ولا تمشط شعرها ولا تقلم أظفارها . فإذا انقضى الحول ألقت من مكانها بعرة إشارة إلى احتقار ما مر عليها في ذلك الإحداد في جانب زوجها الميت فإذ خرجت تمسحت بأول حيوان تراه من كلب أو حمار أو غيره وقد يموت ما تمسحت به من نتنها وخبث رائحتها .

فلما جاء الإسلام ورفع من شأن المرأة ورد إليها كرامتها وأنزلها المنزلة اللائقة بفطرتها ووضع عنها الأثقال التي كانت ترزح تحتها والأغلال التي تقيدها ؛ كان مما جاء به من الإصلاح أن حرم عليها النواح وخمش الوجوه وتمزيق الثياب والخروج مع الجنائز ، وأذن لها بالحداد على الميت من غير الزوج ثلاثة أيام فقط . أما الزوج فيجب عليها أن تحد عليه مدة عدة الوفاة التي لا يباح لها فيها الزواج وهي أربعة أشهر وعشرة أيام لغير الحامل . وحصر الحداد في ترك الزينة والطيب

والتعرض للأزواج .

فذا هو الحداد الذي يجب على المرأة المعتدة لا غير . فما نشاهده في أوساط كثير من المجتمعات من الأمور التي تفعلها النساء في وقت العدة من الغلو في الحداد وغيره من العادات القبيحة ، انما هو من استشراء الجهل فيهم ، وهو رجوع إلى عهد الجاهلية الأولى التي أنقذ الله سبحانه وتعالى البشرية منها بالإسلام الحنيف .

حكم الحداد :

الحداد لا يخلو إما أن يكون على زوج أو غيره ، فإن كان على غير زوج من قريب ونحوه ، فيجوز لها أن تحد عليه لمدة ثلاثة أيام مراعاة لما يغلب النفس من لوعة الحزن وألم الوجد ولا يصح لها أن تزيد على هذه المدة لقوله عليه السلام : (لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث ليال إلا على زوج أربعة أشهر وعشرا) .

ولما توفي أبو سفيان دعت أم حبيبة رضي الله تعالى عنها ـــ ابنته ـــ بطيب فيه صفرة خلوق فدهنت به جارية ثم مسحت عارضيها فقالت : والله ما لي بالطيب من حاجة إلا أني سمعت رسول الله ـــ ﷺ ـــ يقول فذكرت الحديث .

أي ليس لها غرض في الطيب ولكنها فعلت ما فعلت لئلا يتوهم الناس أن تركها الطيب كان إحدادا على أبيها ولتظهر حكم ذلك .

أما إن كان الحداد على الزوج فيجب أن يكون طيلة مدة عدة الوفاة لقوله عليه السلام لا يحل لامرأة .. الحديث .

ورد هذا الاستدلال بأنه لا دليل في الحديث على وجوب الحداد لأن الامتناع وقع بعد النفي وهو يدل على مجرد الجواز لا الوجوب . ورد هذا الاعتراض بأن الوجوب لم يستفد من هذا الدليل فقط، بل هناك دليل آخر مع هذا الدليل يدل على الوجوب . ففي الحديث الذي أخرجه الإمام الربيع رحمه الله والبخاري ومسلم وغيرهم من طريق أم سلمة زوج النبي ـــ ﷺ ـــ قالت جاءت امرأة إلى رسول الله ـــ ﷺ ـــ فقالت : يارسول الله ان ابنتي توفي عنها زوجها وقد اشتكت عينها أفتكحلها فقال لها رسول الله ـــ ﷺ ـــ : (لا ثلاثا) ثم قال : (انما هي أربعة أشهر وعشرا وكانت إحداكن في الجاهلية ترمي بالبعرة عند رأس الحول) .

ما يستفاد من الحديث :

١ ـــ وجوب الحداد على الزوج مدة عدة الوفاة وجوازه على القريب ونحوه ثلاثة أيام .

٢ ـــ الإسلام دين الفطرة يراعي مشاعر الإنسان ويوجهها بما يتناسب مع كرامة الإنسان .

٣ ـــ تتجلى رحمة الإسلام بالمرأة فيما شرعه لها من أحكام تحفظ كرامتها ومكانتها في المجتمع .

يسر الصداق بركة

أبو عبيدة عن جابر بن زيد عن ابن عباس قال : جاءت امرأة إلى رسول الله ـ ﷺ ـ ، فقالت له : وهبت لك نفسي ، فسكت طويلاً ، فقال له رجل : زوجنيها يارسول الله إن لم تكن لك بها حاجة ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : (هل عندك من شيء تصدقه إياها) فقال : ما عندي إلا إزاري هذا ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : (إن أعطيتها إزارك جلست بلا إزار ، فالتمس شيئًا غيره) فقال : ما أجد شيئًا ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : (فالتمس ولو خاتما من حديد) فالتمس الرجل فلم يجد شيئًا ، فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : (هل عندك شيء من القرآن) فقال : معي سورة كذا وسورة كذا ، لسور سمّاها فقال له رسول الله ـ ﷺ ـ : (زوجتها لك بما معك من القرآن) .

الحديث أخرجه الإمام الربيع بن حبيب ـ رحمه الله ـ برقم [٥١٥] وأخرجه أيضا الجماعة والطبراني عن سهل بن سعد الساعدي .

المعنى اللغوي :

وهبت لك نفسي : وهبت أمر نفسي لك ، والمراد أن يتزوجها .

تصدقه إياها : تعطيها إياه صداقا ، أي يكون لها مهراً .

التمس : اطلب .

سمّاها : ذكر أسماءها .

التحليل :

في هذا الحديث جملة أمور منها :

الأول : جاء رسول الله ـ ﷺ ـ إلى هذه البشرية التائهة الضالة في متاهات واسعة ،ومهامه فسيحة تريد من يقودها إلى السلامة وينير لها طريق العبور إلى الهدى اللاحب ، والدين القويم . وكان من تشريع الله سبحانه وتعالى أن أباح للرسول ـ ﷺ ـ أن يتزوج عدداً يزيد فوق الأربع من النساء كما هو محدَّد بالنسبة لغيره من الرجال . ذلك أنه عليه السلام كانت مهمة تبليغ الرسالة وأداء الأمانة التي كلِّف بحملها مهمة عظيمة ينوء بها الناس جميعاً ، وكان جديراً بحملها حقيقاً بتحمل تلك المسؤولية الكبرى وأدائها إلى الناس كما أمر الله وأراد .

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا ﴾ (سبأ ٤٥)

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ (الأنبياء ١٠٧)

ثم كان من عون الله سبحانه وتعالى لرسوله عليه الصلاة والسلام أن أباح له الزواج بأكثر من أربع في قوله :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِىٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِى هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الأحزاب ــ ٥٠)

وحكم زواج النبي عليه السلام بعدد من النساء ، وإباحة ذلك له لا تخفي على ذي لب ، وذي ضمير حي . لأنه عليه السلام :

١ ــ أمر بتبليغ الرجال والنساء ، فكانت نساؤه ــ ﷺ ــ لهن دور عظيم في دعوة النساء وتعليمهن وإرشادهن وتقديم سؤالاتهن واستفتاءاتهن إلى النبي ــ ﷺ ــ .

٢ ــ ولأنه عليه السلام جاء بالشريعة الشاملة لكل مناحي الحياة ، ومنها حياة الرجل في بيته مع أسرته ، فكان لابد من أن تكون هنالك دقائق لا يطلع عليها كل أحد ، فكانت زوجاته ــ ﷺ ــ تغطي هذا الجانب من التشريع الذي لا يتم تبليغه إلا من طريقهن رضي الله عنهن .

٣ ــ ولأن النبي ــ ﷺ ــ هو المسؤول الأول عن أمته جمعاء ، فكان يؤوي الأيتام ويحنو على الضعفاء والمساكين ، ويعين الأرامل ، ويقضي حوائجهم

جميعاً ، فكان أن تزوج النبي ـــ ﷺ ـــ بعض أزواجه لمثل هذه الحكم ، حيث تزوج سودة بنت زمعة بعد أن مات زوجها ، وتزوج أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان وهي في الحبشة مهاجرة إليها فراراً بدينها مع زوجها عبيد الله بن جحش فارتد زوجها عن الإسلام ثم مات نصرانياً ، فأرسل إليها النبي ـــ ﷺ ـــ يخطبها يريدها زوجة له بعد أن صارت وحيدة في دار غربة .

وتزوج صفية بنت حيي بن أخطب رئيس اليهود ، فأسلم بإسلامها كثير من قومها ، وكذلك جويرية بنت الحارث ابن أبي ضرار تزوجها النبي عليه السلام فأسلم بإسلامها قومها كلهم .

وتزوج زينب بنت جحش بأمر الله تعالى لإبطال عادة التبني المترسخة في نفوس العرب .

وتزوج عائشة بنت أبي بكر ، وهي البكر الوحيدة التي تزوجها ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب لأن أبا بكر وعمر كانا بمثابة وزيرين للنبي ـــ ﷺ ـــ وكان كثير المداخلة لهما .

وتزوج أولاً خديجة بنت خويلد وعمرها أربعون سنة وعمره خمسة وعشرون لأنه عليه السلام إنما كان ينظر إلى العقل والخلق لا إلى الجمال والرغبة النفسية .

إنه ـــ ﷺ ـــ الكامل من البشر الذي اختاره الله تعالى لأداء رسالة الإسلام.، ما تزوج من امرأة إلا لحكمة عظيمة .

وكانت هذه المرأة التي جاءت إلى النبي ـــ ﷺ ـــ ، قيل هي خولة بنت حكيم ، وقيل غيرها ، كانت أن عرضت نفسها على النبيِّ ـــ ﷺ ـــ ليتزوجها تحقيقاً للآية الكريمة السابقة . فسكت النبي ـــ ﷺ ـــ طويلاً ، وفي رواية الشيخين البخاري ومسلم : (فنظر إليها ـــ ﷺ ـــ فصعَّد النظر فيها وصوّبه ثم طأطأ رأسه) ذلك أن النظر إلى المخطوبة جائز إن كان الناظر يريد الزواج بها بالتقدم لخطبتها ، وفي رواية الطبراني (فخفّض فيها البصر ورفعه فلم يردها) لأن الله تعالى قال :

﴿إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا﴾ (الأحزاب ٥٠)

وهذا حكم خاص بالنبي ـــ ﷺ ـــ لا يجوز لغيره أن يتزوج امرأة إذا وهبت له نفسها لقوله :

﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأحزاب ٥٠)

الأمر الثاني : الصداق أمر فرضته الشريعة على طالب الزواج ، وهو أثر يترتب على العقد ويجب على الزوج أداؤه بالدخول . قال الله تعالى :

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً﴾ (النساء ٤)

ولقوله سبحانه :

﴿ خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الأحزاب ٥٠)

فسر العلماء ذلك بأن قالوا : المعنى لا يجوز أن يتزوج الرجل امرأة بأن تهب نفسها له من غير صداق إلا النبي ـــ ﷺ ـــ خاصة وقوله : ﴿ٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ (المائدة ٥)

أي مهورهن وثبت وجوب المهر عن النبي ـــ ﷺ ـــ إذ لم يخل زواجاً من مهر ، وزوّج بناته بمهر وهذا الحديث صريح في وجوب المهر لقوله ـــ ﷺ ـــ للرجل : (هل عندك من شيء تصدقه إياها) أي تعطيها إياه صداقاً لها . ثم إن ترداد النبي ـــ ﷺ ـــ أمره للرجل بأن يلتمس ولو خاتماً من حديد يدل على أن المهر أمر لابد منه حقاً لازماً على الزوج يؤديه لزوجته لا يحل له أن يأخذ منه شيئًا إلا بطيب أنفسهن . قال الله تعالى :

﴿وَءَاتُوا۟ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَىْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ۝٤﴾ (النساء)

وفي وجوب المهر على الزوج تكريم للمرأة ورفع لشأنها حيث كانت مبتذلة في الجاهلية لا ينظر إليها إلا على أنها من

سقط المتاع ، ليُعلم أن المرأة ليست بضاعة تؤخذ وترد متى شاء الزوج ، بل هي مكرمة عزيزة لا يحل الدخول عليها إلا بمهر .

ومن حكم المهر في الإسلام :

١ ــ إشعار الزوجة بأنها موضع حب الزوج وعطفه ورعايته ، وأن لها منزلة خاصة مبدؤها هذا المهر الذي يمثل بداية الرابطة بينهما .

٢ ــ فيه أمارة على أنه هو الذي سيقوم بتكاليف الزواج وأعباء الحياة ، فلتهنأ عيشاً وتنعم بالاً .

٣ ــ المهر يلبي رغبات كثير من النساء ويقضي لهن كثيراً من حوائجهن ، بل ويرغب النساء في الزواج ، فتدفع من المجتمعات الرذائل والفساد والضياع .

٤ ــ وفي المهر رحمة بالمرأة وستر لها إذ لم يوجب عليها فيضطرها إلى العمل والخروج أمام الأنظار . وهذا الحديث الشريف بيان لهذه الحكم وبيان أن المهر مهما قل فله شأنه الخطير ، ألا تراه عليه السلام يقوله للرجل (هل عندك من شيء تصدقه إياها) (فالتمس شيئًا غيره) (فالتمس ولو خاتماً من حديد) (هل عندك شيء من القرآن) فزوجه بها بما عنده من القرآن .

وقد قال العلماء في تفسير هذا الحديث أقوالاً عديدة :

ـ **قيل** : المراد زوجتك إياها إكراماً للقرآن ، فكان هذا الإكرام الذي يستحقها الرجل بسبب ما عنده من القرآن مهراً للمرأة .

ـ **وقيل** : إنه ـ ﷺ ـ زوجها تفويضاً وأبقى المهر في ذمته يؤديه لها بعد ذلك .

ـ **وقيل** : المراد : يتكسب المهر بما معه من القرآن ، فقد أجازوا أخذ الأجرة على تعليم القرآن لقوله ـ ﷺ ـ : (إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله) رواه البخاري .

ـ **وقيل** : المراد أن يعلمها القرآن ليكون مهراً لها ، كما ورد في رواية عند أبي داود : (قم فعلمها عشرين آية وهي امرأتك) وقيل غير ذلك .

هذا وقد أجاز العلماء أن يكون المهر نقوداً أو عقاراً أو عروض تجارة ، أو كل منفعة تقوم بمال . وجعل بعض العلماء أقل المهر ما يصح أن يكون ثمناً في البيع .

هذا ، وقد أجاز الإسلام أن يرتفع المهر و لم يحد له حداً ، لأن مرجعه إلى ما يتفق عليه عند العقد ، وهو راجع كذلك إلى مقدرة الزوج على أداء المهر ويسره . إلا أننا في هذا الزمان العجيب نرى كثيراً من الأمور التي هي بمنظار الشرع مستغربة وفي عرف الناس مرفوضة إذ صار الغلاء في المهور سجية دأب عليها كثير من أصحاب الأموال الذين إنما يدفعون المهور

لا ليكون مهراً ، بل ليكون فخراً ورياءً وتبذيراً وإهداراً لحقوق الناس ، وليكون عائقاً يحول دون زواج المعوزين والمعدمين الذين لا يجدون ما يصدقونه بنات الناس .

نعم ، أجاز الإسلام المهر ولم يحد له حداً ، إلا أن الإسلام شامل عام يتدخل في حياة الناس إذا صارت فوضى وإذا صار الأمر منكراً . فالقاعدة الإسلامية تقول : (لا ضرر ولا ضرار) فكل ما أدى إلى ضرر بالنفس أو إضرار بالغير يجب القضاء عليه وإبعاده عن ساحة المجتمع الإسلامي .

ولقد رأينا أن المغالين في المهور أكثرهم من جملة الفساق والسفلة الذين لا يرعون حق الله في المال الذي آتاهم . ورأيناهم يستخدمون تلك الأموال فيما لا طائل تحته ولا عائد سوى البلوى والمضرة . كما رأينا الجشع والطمع لدى الآباء وأولياء الأمور هو الدافع إلى غلاء المهور وليس حباً في البنت وصوناً لكرامتها وحفاظاً على حياتها لأن كثيراً منهم يرون المهر عوضاً عن تربية الرجل لابنته أو وليته ، كأنهم إنما يربون أيتاماً لا حنين إليهم ، وينسون أن التربية واجبة عليهم ، وأن الأجر على الواجب عظيم وأن التفريط في الواجب أعظم وأخطر .

هذا شأن الجهلة الذين لا يعرفون معنى الدين ، ولا يقيمون للاستقامة وزناً . أجل ، كم من شاب حرم الزواج لأنه لا يطيق المهر الذي يطلب منه ، وكم شاب ضاع شبابه مجوناً ولهواً لأنه

لا يستطيع الحصول على المهر . وكم من شابة قعيدة بيتها ترجو الخلاص من الضيق الذي تعيشه ، والضنك الذي يطوقها . وكم من فتاة انحرفت وفسقت لأنها لم تجد من ينتشلها من براثن أبيها الوحش الجشع الكاسر الذي غلبت المادية على مروءته وإيمانه وغيرته .

وإن من العادات التي لا يزال يجري عليها كثير من الناس عادات فاسدة ينبغي مصادمتها وتغييرها والسعي نحو القضاء عليها لكي تسلم مجتمعاتنا من الأوبئة والفساد والرذائل . ليت شعري أين عقول الأباء ومروءات الرجال وبناتهن يحملن ويسقطن الأحمال ؟! وعندئذ كم ترى من رجل عض أصابع الندم وغطى وجهه الأحمر خجلاً وقهراً ، بسبب أنه لم يسارع إلى زواج ابنته ولم يرخص مهرها لكي يعفّها شاب عفيف .

وقل للذين يتجرأون على الدين ويتذرعون بإباحة غلاء المهور وأن الشرع لم يحد له حداً ، إن النبي ـــ ﷺ ـــ قال : (إن من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها) رواه أحمد والحاكم والبيهقي . وقد زوج النبي عليه السلام بناته بمهر يسير ، وقال للرجل : (التمس خاتماً من حديد) وكان السلف رضوان الله عليهم لا يرون في الرجل غير دينه وخلقه لا ماله وتجارته ومنزلته ، تحقيقاً لقول الرسول ـــ ﷺ ـــ : (إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة

في الأرض وفساد كبير) رواه الترمذي . وكفى بهذا الحديث تدليلاً على أن الفساد واقع لا محالة إذا أحجم الأباء عن تزويج بناتهم من الشباب الصالحين ؟ فكيف ترى شأن غير الصالحين ، إنها لطامة كبرى وفتنة عظمى ومحنة على الناس أجمعين !!

ما يستفاد من الحديث :

١ ــ أُجيزَ للرسول ــ ﷺ ــ أن يتزوج امرأة وهبت نفسها له من غير صداق .

٢ ــ الصداق أو المهر حق من حقوق الزوجة على زوجها .

٣ ــ يجب المهر ولو قليلاً .

٤ ــ كل ما يصلح أن يكون منفعة جاز أن يكون مهراً .

٥ ــ تيسير الصداق من أسباب ألفة المجتمع وألفة الزوجين وألفة الأصهار .

٦ ــ غلاء المهور أمر لا يحبه الإسلام وإذا أدى إلى ضرر وقف الإسلام ضده .

الفهـــرس

رقم الحديث	الموضـــــوع	الصفحة
	المقـــدمة	٣
١	درجـات الإيمـان	٥
٢	حقيقـة الإيمـان	١٦
٣	ما تحل به عُقَدُ الشيطان	٢٤
٤	مما يمحو الخطـايا	٣١
٥	فضـل الوضـوء	٣٩
٦	الخشـوع في الصـلاة	٤٤
٧	التشـديد على حضور الجماعة	٥١
٨	من كثر ماله ولم يزكه	٥٨
٩	فضـل صـوم رمضـان	٦٤
١٠	آداب الصـوم	٦٩
١١	فضـل الحـج والعمـرة	٧٤
١٢	فضـل التسـبيح	٨٠
١٣	فضـل الشـهيد	٨٩
١٤	السَّـبعة المكـرمون	٩٧
١٥	في كل كبـد رطبـة أجـرَ	١١١
١٦	ذنـوب العبـد صنفـان	١١٨
١٧	في لعـن الخمـر وأصحابهـا	١٢٤
١٨	الكلمة الطيبة والكلمة الخبيثة	١٢٩

تابع الفهرس

رقم الحديث	الموضوع	الصفحة
١٩	النهي عن سوء الخلق	١٣٤
٢٠	إرخاء المرأة إزارها	١٤٤
٢١	اقتطاع حق الناس باليمين الكاذبة	١٥١
٢٢	مما نهيت عنه المرأة	١٥٨
٢٣	سوء الخلق يمنع من دخول الجنة	١٦٣
٢٤	التحذير من النفاق	١٦٧
٢٥	المحافظة على الأسرار	١٧١
٢٦	الظلم ظلمات	١٧٧
٢٧	في القاضي والقضاء	١٨٥
٢٨	في فضل الصلح بين المتخاصمين	١٩٥
٢٩	مال الرجل أجر له أو ستر أو وزر	١٩٩
٣٠	ذل السؤال	٢١٢
٣١	الوصية في الثلث	٢١٦
٣٢	النهي عن إناء الذهب والفضة	٢٢٦
٣٣	في التعلم لغير الله	٢٣٢
٣٤	سنن الفطرة	٢٣٧
٣٥	وجوب إعفاء اللّحى	٢٤٦

تابع الفهرس

رقم الحديث	الموضوع	الصفحة
٣٦	امتناع الملائكة عن دخول البيت الذي فيه تصاوير	٢٥٤
٣٧	النهي عن سفر المرأة إلا مع ذي محرم	٢٥٩
٣٨	الإحداد على الميت	٢٦٤
٣٩	يسر الصداق بركة	٢٦٩

رقم الايداع ٩٤/١٦